كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدمياط الجديدة
المجلة العلمية
العدد التاسع ٢٠٢١م

نظرات في ديوان "الهوى والشباب"

للشاعر السعودي أحمد عبد الغفور عطار

دكتور
أحمد السيد يوسف إبراهيم المنير
مدرس الأدب والنقد – كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنين بدمياط الجديدة – جامعة الأزهر

الملخص باللغة العربية والإنـجليزية

نظرات في ديوان "الهوى والشباب" للشاعر السعودي

أحمد عبد الغفور عطار

اسم الباحث: أحمد السيد يوسف إبراهيم المنير.

القسم: الأدب والنقد.

الكلية: الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدمياط الجديدة.

الجامعة: الأزهر. **الدولة:** مصر.

البريد الإلكتروني ahmed_elsayed2224@yahoo. com

الملخص

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل ديوان (الهوى والشباب) للشاعر السعودي أحمد عبد الغفور عطار، من الجانبين: الموضوعي، والفني.

في بداية البحث إطلالة موجزة على حياة الشاعر، وديوانه الشعري.

وفي الجانب الموضوعي عرض البحث لما تضمنه الديوان من فنون وموضوعات شعرية، فدرسها وحللها موضوعيًا ومضمونيًا، من خلال عرض نماذج شعرية محللة في إطار الفنون والموضوعات والاتجاهات الشعرية المختلفة.

وقد تردد الشاعر في الجانب الموضوعي من شعره بين الفنون والموضوعات الشعرية التقليدية القديمة، والموضوعات والمظاهر والاتجاهات الشعرية الحديثة، وذلك كله في براعة واقتدار، يعكسان شاعرية فذَّة، ومقدرة فنية، تمتع بها عطار.

وفي الجانب الفني تناول البحث أبرز السمات الفنية، التي اتسم بها شعر الديوان، وبرزت في قصائده ومقطعاته، وعكست مقدرة الشاعر الفنية، وتمكنه من المواءمة بين أسلوبه الشعري بكل مظاهره الفنية وموضوعاته وتجاربه الشعرية، فخرج شعر الديوان –في معظمه- ضربًا من الفن الرفيع، الذي يرفع مكانة صاحبه بين شعراء عصره الكبار، ويكشف عن إبداعه الفني الدقيق في شعره.

عرض البحث لتلك السمات الفنية التي تجلت في شعر عطار نظريًا، مع الإفادة من آراء النقاد والدارسين، وتطبيقيًا من خلال عرض نماذج من الديوان، وتحليلها بما يكشف بوضوح عن الغاية من وراء الاستشهاد بها في البحث، وجودة شعر عطار في جانبه الفني.

والبحث –بشكل عام- يكشف عن مكانة صاحب الديوان الشعرية، ويؤكد على أنه شاعر مقلد ومجدد، وأنه قد برع في الجانبين إلى حد كبير، سواء في الجانب الموضوعي، وفي الجانب الفني في الديوان.

Abstract

This research deals with the study and analysis of the Diwan (The Passion and Youth) of the Saudi poet Ahmed Abdel Ghafour Attar، from both sides: objective and artistic

At the beginning of the research، a brief look at the poet's life and his poetry.

In the substantive aspect، the research presented what the Diwan contained of arts and poetic topics، so he studied and analyzed them objectively and substantively، by presenting poetic models analyzed within the framework of the various arts.

Thus، the poet hesitated in the objective side of his poetry between the arts and the ancient traditional poetic themes، and the topics، appearances and trends of modern poetry، and all of this in ingenuity and ability، reflecting unique poetic، and artistic ability، enjoyed by Attar.

On the technical side، the research dealt with the most prominent artistic features that characterized the poetry of the Diwan، which emerged in its poems and pieces، and reflected the poet's artistic ability، and his ability to harmonize between his poetic style with all its artistic manifestations، themes and poetic experiences. Which raises the status of its owner among the great poets of his time، and reveals his precise artistic creativity in his poetry.

The research presented in this aspect to the artistic features that manifested in Attar's poety theoretically، taking advantage of the opinions of critics and scholars، and in practice by presenting models from the Diwan، and analyzing them in a way that clearly reveals the purpose behind citing them in the research، and the quality of Attar's poetry in its artistic aspect.

The research - in general - reveals the poetic status of the owner of the Diwan، and confirms that he is a poet who imitates and renews، and that he has excelled in both sides to a large extent، both in the objective side، and in the artistic side in the Diwan.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد

لا تزال الجزيرة العربية منبت الشعراء العظام، ومنبع الشعر العربي الأصيل، كما كانت منذ العصر الجاهلي، ففيها نبغ كثيرو شعرائنا العرب من الجاهلية حتى عصرنا الحاضر، وقدموا للعربية أروع دواوين الشعر العربي، ولا يزالون يقدمون كل يوم، الدواوين الشعرية التي تضم روائع القصائد والمقطعات الشعرية.

ومن بين هؤلاء الشعراء الذين قدمتهم أرض الجزيرة العربية في العصر الحديث، الشاعر الفذ والأديب اللامع أحمد عبد الغفور عطار، الذي أثرى المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات في مختلف فروع العلم والمعرفة والأدب، كما قدم للمكتبة الشعرية العربية ديوانا من دواوينها الرائعة البديعة، وهو ديوان (الهوى والشباب).

وهو ديوان لفت نظري، وجذب انتباهي؛ لروعة ما فيه من قصائد ومقطعات شعرية، فبدأت أطالع فيه، وأتنقل بين قصائده ومقطعاته، فأعجبني ما فيه من شعر رائع وأثارني ما تضمنه من موضوعات واتجاهات شعرية، وأعدت قراءته مرة أخرى، فوجدت في نفسي ميلا شديد إلي إعداد بحث فيه، فكان هذا البحث الذي بين أيدينا، بعنوان: (نظرات في ديوان "الهوى والشباب " للشاعر السعودي أحمد عبد الغفور عطار).

وهي نظرات في جانبه الموضوعي بما يضمه من فنون، واتجاهات، وموضوعات شعرية، ونظرات أخرى في جانبه الفني بما يحويه من سمات وملامح فنية.

- وقد بدأت البحث بمقدمة بينت فيها أهمية الموضوع، والداعي إلى دراسته، وخطة البحث.

- ثم توطئة تحدثت فيها – بإيجاز –عن حياة الشاعر، وديوان (الهوى والشباب).

- ثم انتقلت للحديث عن الجانب الموضوعي في شعر الديوان، فتحدثت عن: الغزل واتجاهاته المختلفة، والوصف بموضوعاته المتعددة، والحكمة، والرثاء، والشعر الاجتماعي، والشعر الوطني، وشعر الأحداث التاريخية، وشعر المناجاة، ومكانة الشاعر وأهمية الشعر، داعمًا ذلك كله بشواهد محللة من شعر الديوان.

- وانتقلت – بعد ذلك – للحديث عن الجانب الفني وسماته في شعر الديوان، فتحدثت عن: الوضوح والقرب من الأفهام، والتكرار والتجديد ومظاهره في نظام القافية، والشعر بين القصيدة والمقطعة، و القوافي بين الإطلاق والتقييد، وغلبة الأوزان الطويلة، والوحدة الموضوعية والعضوية، داعما ذلك كله بشواهد محللة من شعر الديوان.

- ثم خاتمة، وقائمة المراجع.

وأتطلع أن يكون في البحث ما يفيد وينفع، وما يؤكد صوابية اختيار موضوعه، وما يعكس دقة بحث ذلك الموضوع واستيفائه حقه، وأن يكون في البحث ما يشفع لصاحبه ويشير إلي سيره علي الطريق الصحيح، والله الموفق.

١. حياة الشاعر:

أحمد عبد الغفور عطار أديب متعدد المواهب، أسهم بالعطاء في كثير من الفنون الأدبية، والبحوث اللغوية والتاريخية والدينية، وقرض الشعر، وكتب في المقال، والقصة، والمسرحية، وترجم بعض روائع الأدب العالمي.

ترك عطار مصنفات عديدة في فروع شتى، تدل علي ثقافته المتعددة المناحي، واطلاعه الواسع، وإسهاماته الكثيرة في المجالات التي كتب فيها.

ولد العطار في الرابع عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٣هـ بمكة المكرمة، على الراجح، وقيل: إنه ولد عام ١٣٣٥هـ[١]، ورعاه والده رعاية خاصة، واهتم بتعليمه، فألحقه بالمدارس النظامية، التي كانت موجودة آنذاك في بعض مدن المملكة العربية السعودية، كما كان يتردد على المسجد الحرام، يتلقى بعض العلوم عن الأساتذة والشيوخ، ثم ألحقه والده بالمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة، حتي حصل على شهادة الثانوية سنة ١٣٥٥هـ.

ثم ابتعث من قبل الحكومة السعودية إلى القاهرة سنة ١٣٥٦ هـ لتلقي العلم، فالتحق بكلية دار العلوم، وانتسب في السنة نفسها إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة لميوله الأدبية.

وبعد مضي عام ترك عطار الدراسة في الجامعة لظروف عائلية خاصة، حالت دون مواصلة المسيرة فعاد إلى الحجاز، واتجه للتعلم الخاص، والتثقف الذاتي، في المكتبات العامة والخاصة، يقرأ ويستوعب، ويثقف نفسه بمطالعته، حتى صار من كبار المثقفين والأدباء والنقاد، الذين يشار إليهم بالبنان في المملكة العربية السعودية، وغيرها من البلاد العربية.

---

(١) انظر: قضايا ومشكلات لغوية. عطار. صفحة الغلاف الأخيرة، مطبعة تهامة – جدة – السعودية – الطبعة الأولي -١٤٠٢هـ -١٣٨٢م.

عمل عطار موظفا في إدارة الأمن العام عام ١٣٥٧ هـ لمدة ثلاث سنوات، ثم تفرغ للبحث والتأليف والترجمة والتحقيق، حتى ترك تراثا ضخما يزيد عن خمسين مصنفا، في اللغة والأدب والدين والتاريخ، وغير ذلك، إلى جانب إسهاماته الصحفية المتنوعة، التي ساعدت على نهوض الصحافة السعودية، فقد أصدر مجلة أدبية أسبوعية باسم (الشباب الناهض) أثناء دراسته بالمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة، كما أصدر جريدة (عكاظ) الأسبوعية عام ١٣٧٩هـ، ورأس تحريرها حتى عام ١٣٨٣ هـ، وقيل ١٣٨٤ هـ، ثم صدرت مجلة يومية في العام نفسه، كذلك أصدر عطار في مكة المكرمة مجلة شهرية باسم (كلمة الحق) عام ١٣٨٧هـ، واستمرت أربعة أشهر فقط ثم توقفت[١].

وقد أدي ذلك الإسهام الصحفي لعطار إلي غلبة فن المقال على كتاباته، كما هو واضح في أكثر كتبه، حيث كانت مقالات في الصحف، وأحاديث إذاعية في الإذاعة، ثم جمعت في كتب.

و لعطار مكانة أدبية وعلمية في المملكة العربية السعودية، حث نال جائزة الدولة التقديرية في الأدب عام ١٤٠٥ هـ، بل كانت له مكانة أدبية بارزة على مستوى الوطن العربي، فقد كان عضوا في المجمع العلمي العراقي، وفي رابطة الأدب الحديث بالقاهرة، وكانت الصحف والمجلات تتسابق إلى إجراء الأحاديث معه، كما تمت دعوته للتعقيب على محاضرة عنوانها (العامية والفصحى) ألقاها الأستاذ محمود تيمور في ٤ مارس سنة ١٩٥٧م بقاعة الدكتور/ عبد الحميد سعيد بجمعية الشبان المسلمين[٢].

(١) انظر: قضايا ومشكلات لغوية. عطار. صفحة الغلاف الأخيرة.

(٢) انظر: الفصحى والعامية، عطار ص٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – ١٣٧٧هـ -١٩٨٥م.

كان عطار موسوعة لغوية وأدبية وتاريخية، حيث جمع لنفسه معارف متعددة، وثقافات متنوعة، من قراءاته المتواصلة الشاملة لكثير من العلوم والمعارف.

وظل عطار ينال التقدير والاحترام، ويقدم الجهود المشكورة، ويضيف ويؤلف في مجالات عديدة، وعلوم متنوعة حتى توفي عام ١٤١١ هـ[١].

٢. ديوانه الشعري:

للشاعر عطار ديوان واحد معروف باسم (الهوى والشباب) وهو الديوان الذي يضم شعره الذي جمع وطبع، ولكن الشاعر يصرح بأن له قصائد كثيرة ضاعت إلى جانب ما ضاع من نتاجه الأدبي، وفي هذا دليل على غزارة نتاجه الشعري، وعلى إسماحه بالشعر، فهو من المطبوعين، الذين يقتدرون على نظم الشعر في كل الأوقات، وفي كل المواقف، وفي كل الأماكن.

وهو يقول في ذلك – في مقدمة الطبعة الثانية للديوان – (وديواني) (الهوى والشباب) طبع بالقاهرة سنة ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م، الطبعة الأولى، ولم أترك النظم، وكانت لدى عشرات القصائد والمقطوعات، إن لم تكن مئات، ولم أكن حريصا على نشرها بالصحف إلا بضع قصائد ومقطوعات لم يكن لي فضل نشرها، وإنما لبعض الصحاب فبقيت، وأما غيرها فقد ضاعت كما ضاعت مؤلفات لي"[٢].

وأحمد عبد الغفور عطار شاعر بطبعه، ليس في شعره فحسب، بل في أسلوبه النثري نشعر بروح الشعر تسري فيه، فتكسبه الحيوية والإمتاع والتأثير.

---

(١) انظر: قضايا ومشكلات لغوية. عطار صفحة الغلاف الأخيرة.

(٢) ديوان (الهوى والشباب)، أحمد عبد الغفور عطار: ص٨، الطبعة الأولي، القاهرة – ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.

-الطبعة الثانية – مكة المكرمة – ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

وعطار شاعر من الشعراء التقليدين، الذين تأثروا بشعرائنا القدماء، وفي مقدمتهم شاعر الغزل، القصصي في العصر الأموي عمر بن أبي ربيعة "فقد أعجب عطار بشعر عمر بن أبي ربيعة وبنزعته الغزلية، فأنشأ الكثير من القصائد الغزلية، ثم جمعها في ديوان سماه (الهوى والشباب)، بعد أن ضم إليها بعض القصائد الوطنية والإسلامية والإنسانية.

وعندما صدر هذا الديوان سنة ١٣٦٥ هـ أعجب بما جاء فيه من سنحت لهم فرصة الاطلاع عليه من أدباء العربية، وقرظوه ببعض القصائد والمقالات ومنهم: الدكتور طه حسين، والدكتور أحمد زكي أبو شادي" [١].

وبرغم أن أحمد عبد الغفور عطار شاعر رقيق، ويمت بأوثق الصلات إلى سلفه – شاعر الحجاز – عمر بن أبي ربيعه، إلا أن نتاجه الشعري قليل، يضمه ذلك الديوان المنشور (الهوى والشباب). فقصائده ثنتان وخمسون قصيدة، تتراوح بين الطول والقصر، أو بين المقطعات والطوال.

وإن كان له قصائد أخرى أشار هو إليها – كما سبق أن بينا – ولم تصل إلينا.

وبرغم قلة نتاج عطار الشعري، الذي وصل إلينا في ديوانه محل الدراسة هنا؛ إلا أنه شعر رقيق، شعر ينبض بالخيال الحي المحلق، فهو فيه يخالف طبيعته التقريرية التي غلبت على أسلوبه النثري أحيانًا كثيرة.

وتأتي أغلب قصائد الديوان في مطلع حياته، حيث إنه سرعان ما ترك الشعر، وانقطع إلى النثر، يناقش ويجادل ويدافع عن الفصحى، وينافح عن الإسلام والمسلمين، ويكتب في التاريخ الإسلامي، القديم والحديث، ممثلاً في رجاله وقادته، وبخاصة تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث، وقادة ذلك التاريخ؛ ولهذا ترك

---

(١) الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد. د. إبراهيم الفوزان جـ ٣، ص ١٢٧٠، الطبعة الأولي، مكتبة الخانجي – القاهرة –-١٤٠١ هـ -١٩٨١م.

الشعر؛ ربما لشعوره أنه لا يسعفه في تلك المعارك الضارية التي خاضها، والتي تتطلب أسلوباً واضحاً سريع النشر، قريب الفهم.

وهو يقول- في مقدمة الطبعة الأولى للديوان (القاهرة ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م) مبينًا عزوفه عن الشعر-: " كنت وأنا طالب بالمدرسة أحاول نظم الشعر حتى استقام لي وزنه، وما زالت أنظمة في المناسبات حتى هجرته بعد قصيدة قلتها في رثاء والدي، إلا أن الحب أنطق لساني بالشعر من جديد فكان هذا الديوان.

وكل ما في هذا الديوان من شعر مرده إلى زمن الصباء الذي كنت أستيقظ فيه مع الفجر، وأهيم في جوه الحالم بعيداً عن القيود، غير آبه بغير نفسي وطلابها المباح لها في عالم الشعر والفنون. وكل قصائد هذا الديوان ومقطوعاته قديمة إلا قصيدتي (الحرب)، و(ربيع الحرب)، فإني نظمتها منذ ست سنين، وإلا قصيدة (السلام)، فقد نظمت منذ عام "[١].

وفي طبعة الديوان الثانية في مكة المكرمة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) أضاف الشاعر إلى ديوانه بضع قصائد أخرى، " وهي:

- اشهدي مغرب عمري قبل فجره.
- شقى بين أضلاعي ضريحاً لضريحي.
- ألآن لوني كالدجي.
- عد لا أريد سواك.

وآخر قصيدة في الديوان، وعنوانها (ألحان ألحان).

ولكن كل هذه القصائد الخمس قديمة، وأجدها منذ عشرين سنه "[٢]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الشاعر- برغم تقدير النقاد والأدباء لديوانه عند صدوره- كان

(١) ديوان الهوى والشباب، عطار: ص ١٢، ١٣.

(٢) الديوان ص ٨.

متواضعًا في نظرته لشعره، فهو يرى في الحجاز شعراء كثيرين لهم مكانتهم المرموقة في الحياة الشعرية، ولكن دواوينهم لم ترَ النور بعد، هذا في عهد طبع الديوان، ولكن الآن صدرت دواوين شعرية كثيرة لشعراء كبار وشباب في ربوع المملكة، ولا أرى حاجه لذكرهم هنا.

وقد أشار الشاعر إلى ذلك في مقدمة ديوانه، فقال: "وما أظن أن التقدير الذي وجدت من زعماء الأدب في مصر والشرق العربي إلا حافزًا على تحقيق ما أملوا، ولن يأخذ بي الغرور مأخذه فأزعم أن في هذا الديوان من الشعر ما يفتح المغالق، ويرى الآفاق الجديدة وإن كنت أزعم أنني مهدت - بإصدار للشعر الحجازي أن يبعث بعد أن قبر أكثر من ألف عام.

ولست في الشعر الحجازي الفرد، بل هناك شعراء غيري لهم مكانتهم المرموقة، أود لهم أن يبرزوا ويخرجوا دواوينهم؛ ليرى العالم العربي مدى تقدم الشعر في مهد الشعر والأدب، ويعرف أن البعث والنشور والحياة تناولت فيما تناولت من الأقطار العربية بلادنا المقدسة ذات الماضي المجيد في حضارة الإنسانية ومدينتها.

إن في الحجاز شعراء ولكنهم مغمورون غير معروفين في الأقطار الشقيقة؛ لأن الدعاية لم تخدمهم كما خدمت شعراء الأمم الأخرى، ولو وجدوها في خدمتهم لرأى القراء شعرا عذبًا جميلًا، ولعل اليوم الذي يتاح لهم فيه أن يروه غير بعيد"[١].

وأيا ما كان الأمر فإن نتاج عطار الشعري لا يداني بحال من الأحوال نتاجه النثري على غزارته، فالرجل شهر بما خطه قلمه نثراً في الآداب والتاريخ والإسلاميات والتراجم والترجمة وغير ذلك، ولكنه مع ذلك تبقى له شاعريته الفذة، وموهبته الشعرية التي تتجلى في ديوانه الوحيد، الذي وصل إلنا من شعره، والذي نحاول أن نلقي الضوء عليه، من حيث أغراضه، وموضوعاته واتجاهاته ومن حيث أسلوبه

(١) السابق ص ١٣، ١٤

الفني، وما اتسم به من سمات فنية ومضمونية، مع الإشارة هنا إلى أني سأكتفي في الشواهد بقدر محدود يغني عن الكل، ويمثله أصدق تمثيل في التأكيد والتدليل على ما يقال في البحث حول شعر الديوان، موضوعيًا، ومضمونيًا، وفنيًا.

أولاً: الجانب الموضوعي في الديوان

ديوان (الهوى والشباب) لعطار يضم كثيرًا من فنون الشعر وموضوعاته واتجاهاته، تؤكد تفاعل الشاعر مع بيئته وعصره، ومستجداتهما. ومن قراءة ديوان (الهوى والشباب) لعطار تبين أنه ليس بإمكاننا أن نسلك شعر عطار في إطار لأغراض والموضوعات الشعرية القديمة، من مثل: المدح، والهجاء، الغزل، والرثاء، والوصف، وغيرها، وما يندرج تحتها من موضوعات فرعية فحسب، كما أنه ليس في مقدورنا أن نسلك شعره في إطار الأغراض والاتجاهات الشعرية الحديثة، من مثل: الوطني، والإسلامي، والإنساني، والاجتماعي، وما يندرج تحتها من موضوعات فرعية فحسب، بل باستطاعتنا أن ندمجه في الاثنين معاً، فقد جمع الشاعر بين الاتجاهين في شعره، فله قصائد تنتظمها الأغراض والموضوعات القديمة، كما له قصائد أخرى تنتظمها الأغراض والاتجاهات الحديثة، ولا غرابة في ذلك، فالشاعر من رواد مرحلة التقليد التجديدية في الأدب الحجازي الحديث، أي أنه يجمع في نتاجه الشعري بين التقليد والتجديد.

وفيما يأتي عرض لفنون وموضوعات واتجاهات شعره بإيجاز لكني أؤكد أن هذا الإيجاز غير مخل بموضوع البحث، حيث إن ما سنشير إليه من قصائد ومقطعات شعريه، تندرج في إطار الأغراض والموضوعات والاتجاهات الشعرية، التي نتحدث عنها في إطار ذلك العنصر من البحث، تدل دلالة أكيدة على ما نريده منه، وتؤكد على تنوع موضوعات الديوان، وتغني -كما قلت سابقاً- عن غيرها من الشواهد في إطار كل موضوع من موضوعات شعر الديوان.

١ -**الغزل**:

الغزل من الفنون الشعرية التقليدية التي شاعت في كل عصور الأدب العربي، قديمة وحديثة، وتقاربت فيه إلى حد كبير اتجاهات الشعراء ومعانيهم وأفكارهم، والصفات التي يخلعونها على محبوباتهم بشكل خاص، والمرأة بشكل عام، يأخذ بعضهم عن بعض، ويقلد اللاحق منهم السابق، وفلا نزال في عصرنا نطالع في شعر الغزل تشبيه المرأة بالبدر أو القمر، والوجه بالصبح، والشعر بالليل، والعيون بعيون المها، وتشبيه المرأة بالغزال رقة ورشاقة، ولا نزال نطالع في غزل الشعراء شكوى الهجر والصد والفراق، والحنين إلى المحبوبة، ووصف الضعف والهزال في جانب المحب بما يثير العطف والشفقة وبما يعرف بالغزل العذري، ولا نزال نطالع كذلك وصف جسد المحبوبة أو المرأة، ومفاتنها الحسناء، بما يثير النهم والتطلع، وبما يعرف بالغزل الحسي المادي، حتى أصبح ذلك كله من الأمور الشائعة المتداولة بين الشعراء في فن الغزل، والتي لا يعد النقاد السرق فيها.

وإذ قد عرفنا ذلك، فليس غريباً أن نرى ذلك كله شاخصاً في غزل عطار، وهو أحد المقلدين لشعراء الغزل لقدماء، وفي مقدمتهم ابن أرضه، سلفه عمر بن أبي ربيعه، حيث أعجب عطار بنزعته الغزلية التي تتمثل في الغزل المادي الصريح، فنظم عدة قصائد ينحو فيها ذلك المنحنى، لكنه منحنى تقليدي، يقلد فيه سلفه في مذهبه ليس إلا.

لذلك أرفض- مع الدكتور/ إبراهيم الفوزان – النقد الذي وجهه عادل الغضبان إلى بعض قصائد عطار الغزلية، حيث قسا عليه، واتهمه بالتطرف المادي في تلك القصائد وتناسى أنه كان فيها يقلد ابن أبي ربيعة فقط في المنحنى الشعري، وفي الطريقة الغزلية، دون أن يبحث عن موقف أو مشهد يتصيده، ويقصه في غزله كما كان يفعل ابن أبي ربيعة.

يقول الدكتور / إبراهيم الفوزان: "وقد أعجب – عطار – بشعر عمر بن أبي ربيعة وبنزعته الغزلية، فأنشأ الكثير من القصائد الغزلية... وإن كان بعض النقاد قد قسا عليه في نقده، واتهمه بالتطرف في غزله ومنهم عادل الغضبان، الذي قال عن بعض القصائد الغزلية الواردة في ديوان (الهوى والشباب): (ترى فيه المدية مهيمنه على الشاعر وترى فيه روحا عربيدا، لا تقنع إلا بلذائذ الحواس).

وكان تعليقه على قصيدتيه التي كتب الأولى تحت عنوان (أمنية محروم):

ما تمنيت في حياتي شيئاً ... غير رشف الرضاب من شفتيك
وعناق لجسمك الغض يالي ... لى وقطف الزهور من خديك
ونوال الرضا فأنت حياتي ... والمنى أن أعيش بين يديك

والثانية بعنوان: (هات ثغرك)

يا ليتني القدح الذي أدنيته ... من ثغرك الزاهي وكان يعربد
لا تعطي القدح المصفى مترعاً ... بل هات ثغرك أيهاذا الأغيد
وطفقت أطوي خصره وفمي إلى ... فمه الجميل يعل منه.. فيرقد

وقد فات عادل الغضبان أن الشاعر قصد محاكاة عمر بن أبي ربيعة"[1]

فهو يقلد منهجًا فنيًا، ومنحى موضوعيًا في شعر الغزل، ولا شيء غير ذلك.

ونشير إلى أن الغزل عند عطار يغلب على ديوانه، فيكاد شعره يكون كله غزلًا إلا القليل منه، ويتنوع ذلك الغزل عنده أنواعًا عدة، نرصدها بإيجاز من خلال الشواهد الشعرية، المنتقاة من الديوان كأمثلة وليست حصرًا.

---

(١) الأدب الحجازي الحديث، د. إبراهيم الفوزان ج٣، ص: ١٢٧١، ١٢٧٠. وانظر: الأدب الحجازي في النهضة الحديثة، أحمد أبو بكر إبراهيم، ص: ١٠٦، طبعة نهضة مصر، ١٩٤٨م. وانظر: ديوان الهوى والشباب، عطار، ص: ٤٤، الطبعة الثانية، مكة المكرمة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

أ ـ الغزل المادي الحسي:

غلب الغزل المادي الحسي على غزل عطار وأحسب ذلك راجعًا إلى محاكاته للمنحى الغزلي لسلفه عمر بن أبي ربيعة، رائد مدرسة الغزل المادي الصريح والقصصي في بيئة الحجاز لعصر بني أمية، فحياة عطار، وعصاميته، ومعاركه اللغوية والإسلامية، وخدمته للدعوة الإسلامية، كل ذلك يربأ به أن يكون كعمر بن أي ربيعه تتبعًا للنساء، والتشبيب بهن، وتتبع مفاتنهن في شعره، بصورة صريحة واضحة قد تخرج عن حد الاعتدال أحيانًا كثيرة.

وقوام الغزل المادي الحسي والصريح "وصف محاسن المرأة، وبيان مفاتنها التي استهوته"[١]، وقد يري في المرأة "متعة الحواس، ومنهل الغرائز والشهوات، فهو حين يتعرض لها إنما يتعرض لمباح، يمتع نفسه بالنظر إلي ما يخفي من جسمه، ويمتع غيره بتعريتها مما يسترها... فالشاعر لا تقع عينه من المرأة إلا علي محاسنها الحسية، وأوصاف جسمها المادية، مما يكشف عن انهماك في المادية"[٢].

وقد نجد بعض تلك المقومات عند عطار علي سبيل التقليد والمحاكاة. فالمحبوبة عنده حسناء جميلة، تزهو بكل ألوان روض الربيع، ورائحته العطرة المثيرة، وينعم من ثغرها برحيق السعادة، وصاغها الله مثالاً لجمال الأنوثة الرقيقة، وكلها صفات مادية حسية، وقف الشاعر بها عند مفاتن محبوبته الحسية الفاتنة، التي تنطق بالجمال والحسن، في قوله" [٣].

قالـــت الكاعـــب الجميلـــة صـــفني قلـــت مـــاذا أقـــول فـي وصـــف غـــاده

(١) الأدب العربي بين البادية والحضر، د / إبراهيم عوضين: ص ١٥٢، الطبعة الأولي، مطبعة السعادة، القاهرة١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

(٢) السابق: ص ٢٧٩، ٢٨٠.

(٣) الديوان: ص ٤١.

كـــل عضـــو بهـــا يزينـــه الحســـ ـــن وفـــي ثغرهـــا رحيـــق الســـعادة
هـــي روض الربيـــع يزخـــر بـــالنو روقـــد ظـــل ناشـــرا أبـــراده
فيـــه شـــتي الفنـــون والأمـــل الصـــا دق والســـحر والهـــوى والســـياده
هـــي دنيـــا وإنمـــا ميزتهـــا روحهـــا والغريـــزة الوقـــاده
صـــاغها الله وخـــدها كمثـــال لجمـــال الأنوثـــة المســـتجاده

وليلاه ثغرها وضاء يبدد سناه ظلمة الدجى بإشراقه وبريقه، أحمر كالجمرة المتقدة، ولكنها جمرة لا تؤذي ولا تحرق، حيث في رحيقه خمر الهوى المعتقة، التي تنهب العقول، وتسحر القلوب، والتي تفوق الشهد حلاوة ومذاقا إذا نالها العاشق وذاقها.

ثم يمعن الشاعر في ماديته وغزله الصريح المكشوف، فيري أن تلك الخمرة ليست حراما علي الصب العاشق الولهان، فيصب منها ما شاء بتقبيل المحبوبة، فما حرم الله تعالي ذلك، فعلام الاختلاف حول حلها وحرمتها، فقد حلت للعاشق وحده قبلة يفوح منها الأريج الشيق، من مبسم تزاحمت فيه فنون الصبا، وزاد العاشق منه قُبَلٍ كثيرة ما أحلاها وما أمتعها، إذا أطلقت وأبيحت للعاشق.

نجد ذلك كله في قوله: [1]

لـــيلاك مـــا زالـــت علـــى حبهـــا وزاده إخلاصـــــها المطلـــــق
فثغرهـــا الوضـــاء جـــم الســـنا يبـــــدد الظلمـــــة إذ يشـــــرق
أحمـــــر قـــــد تحســـــبه جمـــــرة حمـــــراء لا تـــــؤذي ولا تحـــــرق
وإنمـــا فـــي الـــدُّن خمـــر الهـــوى حبيســـة مـــن عتقهـــا تعبـــق
بالشـــــهد مـــــذكورًا إذا ذاقهـــــا أو نـــال منهـــا العاشـــق الموثـــق
ليســـت علـــى الصَّـــب حرامـــاً ومـــا حرمهـــــا الله فـــــلا تفرقـــــوا

(١) السابق: ص ٥٧، ٥٨.

فاكهـــة حلـــت لـــه وحـــده ... مـــا لســـواه العهـــد والموثـــق
ورق فـــي ميســـمها قبلـــة ... يفـــوح منهـــا الأرجـــح الشـــيق
تزاحمـــت فيـــه فنـــون الصـــبا ... والقلـــب مـــن إغرائهـــا يخفـــق
زادك منـــه قبـــل جمـــة ... يـــا نعـــم هـــذا الـــزاد لـــو يطلـــق
ألـــم تـــذقها حلـــوة مـــن فـــم ... لا حســـنه يفنـــي ولا يخلـــق

ب ـ الغزل العفيف:

وتعود إلى الشاعر طبيعته أحيانًا، ويرتبط ببيئته المحافظة، فتخرج منه زفرات حارة، عن نفس صافية، تتغني بالحب والعشق بعيدا عن مفاتن الجسد، ونهم المادة، فيبدو وكأنه أحد شعراء الغزل العذريين، الذين عرفهم الشعر العربي في تاريخه الطويل، كعنترة، وجميل، وكثير، والمجنون، والعباس بن الأحنف، وغيرهم.

وفي تقديري أن الشاعر حين يتخلص من تقليد سلفه عمر بن أبي ربيعة، وينسي مذهبه الغزلي، كانت تغلب عليه تلك النزعة العفيفة، التي تبدت في بعض قصائده الغزلية؛ لأنها تتماشي مع طبيعته.

وقوام الغزل العفيف "وقوف الشاعر بحديثه عن المرأة عند حد اجترار ذكرياته الماضية في علاقاته بالمرأة... وقد يخاطب المرأة مستعطفا، ويكشف لها عن حبه لها، وافتتانه بها، ويذكر ما يفعله فيه بُعدها عنه من لواعج الشوق، وما يكابده من جراء ذلك... كما أنه يتحفظ في الحديث عن المرأة دائما، فهي في نظره أمل مقدس، لا يحق له أن يكشف من مفاتنها إلا الأشياء العامة التي تنبئ عن سر تعلقه بها دون أن يمس حرماتها المقررة"[1].

(1) الأدب العربي بين البادية والحضر، د. إبراهيم عوضين: ص ١٥٢.

وإطار الغزل العفيف عند عطار لا يخرج عن ذلك الإطار، فهو –مثلا– يحدثنا عن الحب والإخلاص والوداد الخالص، ويطالب محبوبه بأن يكشف له عما في قلبه ولا يخفيه، ويترك الصد والقلى، فيقول(١):

فإن كنت تياها تصول علي الهوى ... عليَّ على الإخلاص فارفق وحاذر
فإني لمرهوب المقام أخو القوي ... عزيز علي رغم الوداد المخامر
وإن كنت لا تحبو ودادك خالصا ... لعانيك فاستدبر نفاق الظواهر
وبح لي بما في القلب واكشف ستاره ... ولا تخف أمرًا بين سواد الستائر
فإن كان ما تأتي من الصد والقلي ... لإغراء معمود فزدني وبادرا

ويذكر الشاعر أثر الفراق والهجر في إشعال النار في قلب المحب، وأثر الوصال في تمتعه بالتنعم في جنة الحب، ولذلك يطالب المحبوبة بألا تبخل بفعل الجميل، وهو اللقاء والوصال، ففي ذلك سعادة القلب، وأحري بالمحبوب أن يسعد قلب حبيبه، يقول(٢):

.... لك الله جودي بالوصال وأكرمي
فأنت لعمري في يديك سلامتي ... وعندك إسعادي وعندك مغنمي
ولا تهجري بالجهر يصلي بناره ... وهل يستطاع العين بين جهنم
ولا تبخلي بالوصل فالوصل جنة ... أعيش بها فرحان ثر التنعم
ومن يستطع فعل الجميل فإنما ... قبيح به ألا يكون بمكرم
ومن يستطع أن يجعل القلب مسعدا ... فأحري به إسعاد قلب محطم
وأحري به الإسعاد للقلب و الحجى ... فمن يقرض الإسعاد يظفر بمغنم

(١) الديوان: ص ٨٦.
(٢) السابق: ص ١٤٥.

ج ـ الغزل القصصي:

هو لون من الغزل المادي الصريح، الذي يصور مغامرات الشاعر مع المرأة في أسلوب قصصي، فيصور المغامرة في صورة قصة، ذات زمان ومكان وأشخاص وعقدة وحل ونهاية، وقد يلجأ الشاعر فيه أحيانا إلي أسلوب الحوار المتبادل بينه وبين المحبوبة أو المرأة.

وهذا اللون من الغزل قديم في شعرنا العربي، حيث وجد عند بعض الشعراء منذ العصر الجاهلي، وامتد عند بعض الشعراء في العصور اللاحقة.

وفي تقديري أنَّ هذا اللون عند عطار كان أيضا على سبيل التقليد والمحاكاة، وأنه قد يكون أثرا من محاكاته لسلفه عمر بن أبي ربيعة، حيث برز هذا اللون بوضوح في غزل ابن أبي ربيعة، وقد عرفنا أن الشاعر معجب به، فهو مقلد له في ذلك اللون الغزلي أيضا.

ونستشهد له هنا بمثال واحد، يقدم فيه قصة غزلية [1]، يذكر فيها الشاعر أيامه السعيدة، التي كان يقضيها مع محبوبته، في مكان كالفردوس؛ لما فيه من نعيم نعم به ما بين العناق واللثم، وأحاديث الحب، والشرب، والأغاني الجميلة، والرقص.

يتذكر الشاعر كل ذلك، فراح ينظم تلك القصيدة الغزلية البديعة، يصور لنا تلك الأوقات، وما كان يحدث فيها من مغامرات بينه وبين محبوبته، حتى أصبح مكان تلك الأوقات ربيع العمر بالنسبة إليه، فلا ينساه أبدا.

فمكان اللقاء فردوس كان منبع الفرحة في السنين الفضة الماضية، ويشخصه الشاعر إنسانا يرحب به وبمحبوبته، ويضم هواهما وحبهما بالحنين:

أيهـــا الفـــردوس قـــد كنـــت لنـــا منبـــع الفرحـــة فـــي غصـــن الســـنين

(1) الديوان: ص ١٣٨-١٤٠.

كلمـــا جئنـــاك رحبـــت بنـــا وتلقيـــت هوانـــا بـــالحنين

وهو مكان كان يقضي فيه خير أوقاته، ويشعر فيه بالمتعة الحقيقية، وهو أيضا كنز حبه الذي يكتنز فيه ذكرياته الجميلة، وينبوع المني في صبوته، وملاذ الحب.

وعلي الجملة، فهذا المكان أحب مكان إلى قلبه، ففيه قضي أجمل أيام عمره:

خيـــر أوقـــاتي وأبهـــى متعتـــي كنـــز حبـــي كلهـــا فيـــك دفـــين
كنـــت ينبـــوع المنـــي فـــي صـــبوتي ومـــلاذ الحـــب بـــل ذخـــري الثمـــين

ويذكر الشاعر لياليه الحالمة التي قضاها في ذلك المكان، وما فيها من مغامرات تقوم على المتعة واللذة بالضم واللثم، والملاعبة والمداعبة، والشرب والأغاني والرقص، بعيدًا عن الهموم والأحزان، وما يفيقان إلا وقد ظللهما نور الفجر، فيودع محبوبته بقطف الورد من أجمل ثغر، يبرق في الظلماء بدره، فيقبله قبلة الوداع، لكنه وداع علي أمل لقاء في الليلة القادمة:

كـــم ليـــال مثـــل أحـــلام العـــذارى قـــد قضـــيناها معـــا ضـــما ولثمـــا
فتلاثمـــــا خفـــــاء وجهـــــارا وتبادلنـــا حـــديث الحـــب نظمـــا
وشـــربنا مـــن أغـــاني الســـحر خمـــرا هـــي أشـــهي مـــن رحيـــق الـــدن طعمـــا
ورقصـــنا فـــوق أعشـــابك بشـــرا وجهلنـــا مـــا يســـمي النـــاس همـــا
وظننـــــــا أن أول فجـــــــر لاح فـــي دنيـــا المنـــي أول مـــرة
فقطفـــت الـــورد مـــن أجمـــل ثغـــر مشـــرق أطلـــع فـــي الظلمـــاء بـــدره

٢ـ الوصف(١):

فن الوصف من الفنون الشعرية القديمة، وهو فن يعد مرآة صادقة لمظاهر الكون والبيئة، ومشاهد الطبيعة، وأحداث الحياة وتقلباتها في كل عصر من عصور الأدب العربي، فمن يطالع نتاج الشعراء في هذا الفن، سيقف على ذلك كله بسهولة في وصفهم، إذ الشاعر العربي في كل عصر حريص على أن يصف كل ما يقع تحت حسه وبصره في الكون والطبيعة والبيئة، وما يتقلب فيه من أحداث الحياة ومظاهرها المختلفة.

وفن الوصف عند عطار – مثل غيره من الشعراء – متعدد الموضوعات، متنوع المظاهر والمشاهد.

وسأحاول هنا الإلمام السريع ببعض الموضوعات الوصفية التي وردت في ديوانه، مع الاقتصار – كما قلت – في الشواهد على عدد محدود في كل موضوع؛ لأن الجزء هنا يغني عن الكل.

أ ـ وصف الطبيعة:

وصف الطبيعة موضوع وصفي قديم في الشعر العربي، وأكثر موضوعات فن الوصف انتشارا في دواوين الشعراء العرب، حيث إن كل شاعر – في جانب كبير من شعره – يتأمل في الكون المحيط به، والطبيعة الخلابة التي يتنقل في ربوعها، وما فيهما من مظاهر ومشاهد ورؤى مختلفة، فيحاكي تلك المظاهر في شعره، ويصفها كما هي في واقعها وصفا حسيًا أحيانًا، وقد يصفها من خلال مشاعره وأحاسيسه، ويتعامل معها في شعره كما يتعامل مع كائنات حية، فيأتي وصفه لها وجدانيا حيويا،

(١) يأتي فن الوصف في ديوان الشاعر المرتبة الثانية بعد فن الغزل من حيث الكم وحجم الصفحات.

سواء في ذلك وصف الشاعر لمظاهر الطبيعة الصامتة، ووصفه لمظاهر الطبيعة الحية.

ووصف الطبيعة عند عطار لم يخرج – غالبا-عن إطار وصفها عند شعراء العربية، فهو شاعر عربي مثلهم، ونشأ في البيئة التي أنجبت أعظم شعراء العربية في عصورها المختلفة، وشاهد مظاهر الطبيعة التي شاهدها هؤلاء الشعراء، بالإضافة إلى المظاهر الحضارية الجديدة المصنوعة وغيرها في بيئته، فكان ضروريا أن يلتقي وصف الطبيعة عنده مع جوانب كثيرة عند أسلافه.

فعنده وصف الطبيعة الصامتة، والطبيعة الحية، غير أن وصف الطبيعة الصامتة يكثر عنده، ويقدم فيه روائع تحسب له، وتتجلي فيه شاعريته الفذة في إضفاء الصفات الإنسانية على مظاهر الطبيعة، حتى بدت عنده في هذا الجانب" روعة التصوير، عندما يجسد لنا مناظر الطبيعة الصامتة، وكأنه رسام بارع يعرض خصائص الطبيعة من خلال إحساسه بها، في لوحات شعرية منسجمة تعكس لنا ما يريد التعبير عنه"[١].

ومن ذلك – مثلا – تصويره للزهور، وما تحدثه من أثر في الفيلسوف والأديب والشاعر، وهو تصوير وجداني تعمق نفس عطار، وصدر عن مشاعره وعواطفه الجياشة بحب الطبيعة، وذلك في قوله[٢]:

إن في هذه الزهور لمعنى ... جل من أن تعيه نفس الغبي

لكن الفيلسوف يدرك منها ... كل كنهٍ بعقله العبقري

والأديب العظيم تلفيه فيها ... غارقا في تأملات الشجي

مبدعا من نثيره الفذ قولا ... لم يدر لفظه بذهن الخلي

(١) الأدب الحجازي الحديث، د. إبراهيم الفوزان ج٣: ص١٢٩٤.

(٢) الديوان: ص ٤٢.

وتـــرى الشـــاعر المجيـــد يصـــوغ الـــ ـشـــعر وحيـــا مـــن الشـــعور الفتـــي

وفي الربيع تزهو الدنيا، ويتغير فيها كل شيء، ويبدو حسنها وجمالها للناظرين، فالربيع يضفي عليها حللا، ويمنحها جمالا بما فيه من مناظر جميلة، ومشاهد خلابة، وألوان ساحرة، وروائح عطرة، وطيور تشدو فرحة.

ويتأثر الشاعر بمشهد الربيع حين يقبل بجماله وحسنه، ورقة نسيمه، فيقول[١]:

فـــي موســـم الحســـن والربيـــع علـــى إقبالـــه تُلـــبس الـــدنى حلـــلا
والنـــور مـــلء الوجـــود مزدهـــر والكـــون بالبشـــر والســـنا حفـــلا
والزهـــر قـــد أتـــرع الربـــى أرجـــا والطيـــر يشـــدو بـــاللحن منـــتقلا
فـــأين تمضـــي فـــثَمَّ موكبـــه يزخـــر بـــالنور يبعـــث الأمـــلا

ويقول[٢]:

واليـــوم يســـخو الربيـــع مبتســـما فيمـــنح الكـــون كـــل مـــا أمـــلا
أســـرف فـــي جـــوده كـــأن بـــه مســـاً فلـــم يبـــق ماســـما وغـــلا
فيومـــه عيـــده ورزق غـــد يـــأتي وفضـــل الكـــريم مـــا قفـــلا
نـــال الـــورى مـــن جـــداه حصـــيته وفـــاز بالبشـــر واكفـــا هطـــلا
فكـــل نفـــس أثـــرت بمـــا منحـــت ومـــا تـــرى فيـــه معـــدما عطـــلا
أزجـــي الهـــدايا الربيـــع غاليـــة إلـــى الـــدنا واســـتطاب مـــا عمـــلا

وللشاعر نماذج أخري في الربيع، والرياض، والناعورة، والزهور، والريف، وهي من الروعة والإبداع بمكان، كالشواهد التي عرضنا لها هنا[٣].

(١) السابق: ص ٩٥.

(٢) السابق: ص ٩٧.

(٣) ينظر الديوان: مثلا ص ٦٤-٦٦، ص ١٥٠-١٥١، ص ١٦٤-١٦٥، ص٤٢، ص ١٧١-١٧٤.

أما الطبيعة الحية الصائتة فنادرة في شعر عطار، حيث لم نجد منها في ديوانه إلا أبياتا معدودة ومنها بيت يصور فيه صوت محبوبته بتغريد البلبل، ولكنه البلبل المطلق، حيث المرح والفرح وأعذب الألحان التي تنبعث من صوته حينئذ وذلك في قول الشاعر[١]:

ويسمع صوتك جم الحنان يغرد كالبلبل المطلق
فيحسبه أغنيات الخلود ترف على قلبه الشيق

وبيت ثان يعبر به عن إعجابه بصوت العندليب، الذي يشد و بأعذب الألحان، فيقول[٢]:

امض للروض واسمع العندليبا كيف يستقبل السنا بالأغاني

وبيت ثالث يصور فيه لحن الهزار، الذي يرد شجى النغم، فيقول[٣]:

ونصغي للحن الهزار المفن يردد فيه شجي النغم

وهي صور وجدانية رائعة، تغمرها مشاعر الشاعر وأحاسيسه الفياضة تأثرا بأصوات وألحان بعض مظاهر الطبيعة الصائتة، المثيرة للمشاعر والأحاسيس.

ومن أبيات وصف الطبيعة الحية الصائتة ما ورد في قصيدة الشاعر التي عنوانها (السيارة والجمل) [٤] وصف فيها الجمل وغيره من الأنعام التي كانت وسيلة المواصلات في الحياة البدوية القديمة، ونحن نعرف أنه كان هناك في العصر الحديث طفرة حضارية ملحوظة شهدتها الجزيرة العربية في مدة وجيزة، بعد أن حباها الله بالنعم الوفيرة، والخيرات الكثيرة، فبذلت الصحراء خضرة يافعة، والخيام قصور

(١) الديوان: ص ١٦٩.
(٢) السابق: ص ١٣١.
(٣) السابق: ص ١٦٥.
(٤) السابق: ص ١٨٢-١٨٥.

ومنازل عصرية، والخيل والجمال سيارات فارهة، من(موديلات)مختلفة، وعلى أشكال متنوعة، وكان للشعر السعودي الحديث دور بارز في تصوير تلك الحياة الحضارية الجديدة، بل والموازنة أحيانا بين مظاهرها ومظاهر الحياة البدوية السابقة، وكثيرون هم شعراء المملكة العربية السعودية الذين أفسحوا لهذا الموضوع الوصفي مجالا في شعرهم، وتغنوا بأمجادهم الجديدة، وحياتهم الحديثة، وحضارتهم العصرية الزاهية، ولكنهم – للإنصاف– لم ينسوا حياتهم السابقة وأصالتها، فكانوا بين الحين والآخر يصورونها في أشعارهم.

وهذا شاعرنا عطار يدلي بدلوه في هذه القضية، ويوازن- في منظومة شعرية بديعة– بين وسيلة المواصلات الأولى في الحياة البدوية، وهي الناقة والجمل، ووسيلة المواصلات الأولى في الحياة الحضارية الجديدة، وهي السيارة.

في بداية القصيدة يشير الشاعر إلى حياته السابقة، وما كان يستخدمه في الركوب في حله وترحاله، فيخاطب سيارته (على عادة القدماء الذين كانوا يخاطبون الربع)، ولكنه يخاطب المظاهر البيئة الحديثة، ويسر لها بأنه كان قبلها يركب الأنعام إن أراد السفر، الأنعام التي تقطع القفار والمفاوز، ولكنها ليست مثلك في السرعة، فقد كانت ثقلات الخطى، تشبه مشية الحسناء عند زفافها إلى الذكر، فتمشي في خفه ودلال وتمايل، كذلك الأنعام في خطاها ثقيلة بطيئة، لا يدري راكبها أهي تمشي أم واقفة، فكلا الأمرين مقبول النظر:

كنت قبل اليوم يا سيارتي ... أركب الأنعام إن رمت السفرْ
تقطع القفر ثقيلات الخطى ... كخطى الحسناء زفت للذكرْ
لست أدري أمشت أم وقفت ... فكلا الأمرين مقبول النظر

وهي في سفرها تستغرق وقتًا طويلًا، وهذا دليل بطئها في السير وهي صفة تجعل للسيارة ميزة وفضلًا على الأنعام؛ لسرعتها التي تصل بالإنسان إلى المكان الذي يرومه

في أقل وقت ممكن وقد أدرك الشاعر-وغيره-ذلك الفرق، وتلك الميزة، فراح الشعراء يصورون ذلك في شعرهم، ومنهم شاعرنا عطار.

فإذا أراد السفر إلى مصر أو الشام فإنه يستغرق شهوراً تمر من عمره حتى يصل إلى مراده، كل ذلك والأنعام تمضي دون جدوى، كأنه لم يشعر بسيرها، أو لم يشعر أنها تقدمت في سيرها لثقل خطواتها وبطء مشيتها، وفي سيرة البطيء تمر به الذئاب والأسود في الفيافي؛ لأنه يقطعها بناقته، ولكنه إن سلم منها فلن يسلم من مركب الليالي العسير، الذي يطول به مع الناقة، والعواصف التي تقذف به في السفر، وترميه بالحجارة والرمال، وأين المفر والجو دجا محلولكا بالسحاب، وأين يجد المكان الآمن، الذي يأمن فيه على نفسه لينجو بنفسه فيه من الهلاك، الذي يحيط به من كل جانب، في تلك الصحراء المترامية الأطراف، التي لا يرى لها آخرًا. يقول الشاعر:

إن أرُمْ مصـــــر أو الشـــــام ففـــــي ... أشـــهر مـــن عمـــري الفـــذ تفـــر
وهـــي تمضـــي دون جـــدوى فـــي ونـــى ... وأنـــا بعـــد علـــى مـــتن الخطـــرْ
إن ســـلمت الـــذئب أو ليـــث الشـــرى ... فالليـــالي مركـــب حـــد عســـرْ
أيـــن أمضـــي إن تحـــدى عاصـــف ... يقـــذف السَّـــفر رمـــلاً وحجـــرْ
وإذا الجـــود دجـــا محلولكـــاً ... بطخـــاء فـــإلى أيـــن المفـــرْ
أيـــن ألقـــي مأمنـــا فـــي مهلـــك ... ومـــداه قـــد نـــأى حتـــى اســـتترْ
راكـــب البيـــداء تحـــدوه المنـــى ... فـــإذا مـــا ضـــل أفنتـــه الفكـــرْ

ثم يسترسل الشاعر في وصف الصحراء وجوها المحرق، الموحش، الذي يصيب الإنسان بالذعر والرعب، بجانب بطء سير الناقة، في مثل ذلك الجو فيزيد من الوحشة والذعر، ويجعل من ذلك منطلقًا لوصف السيارة، وبيان ميزاتها وفضائلها، وكيف أنها أراحت الناس من جو الصحراء المرعب حين يتجاوزونها سريعًا، وكيف أنها توصل الإنسان إلى المكان الذي يريده في الوقت الذي يريده.

إنها ثمار التقدم العلمي والتكنولوجي الذي شهده عصر الشاعر، فراح يوازن بين ما عايشه وشاهده في عصره القديم، عصر الناقة والفرس والصحراء، وما شاهده وعايشه في عصره الحديث، عصر المخترعات الحديثة، ومنها تلك السيارة التي قدمت له خدمات جليلة، وراح يثني عليها في قصيدته ويعدد فضائلها ويصور أهميتها في حياته الجديدة.

ب- الزورق:

وصف السفن قديم في الشعر العربي، تمتد جذوره إلى العصر الأموي، ثم نما وتطور خلال العصور التالية، لكثرة صناعة السفن، واستخدامها في التنزه وفي الحروب حتى أصبح وصف السفن من موضوعات الوصف البارزة في شعرنا العربي على مدى عصوره المختلفة.

وهذا شاعرنا عطار ينظم قصيدة على طريقة الرباعيات، يصف فيها زورقًا، يختال فوق سطح الماء، ويتهادى ويتمايل في دلال كتمايل الثمالى، الذين أثر الشراب في توازنهم، كأنهم يتراقصون في خفه ودلال.

وتلك القصيدة تتكون من ثلاثة مقاطع، كل مقطع يتكون من أربعة أبيات على نظام الرباعيات[١].

الرباعية الأولى في القصيدة من نظم الأستاذ إبراهيم فلالي [٢] والرباعيتان الأخريان للشاعر أحمد عبد الغفور عطار، نظمهما تفريقا من رباعية صديقة إبراهيم هاشم فلالي.

---

(١) الديوان: ص ٦٢، ٦٣.

(٢) كاتب وشاعر سعودي معروف، من أدباء العصر الحديث في السعودية، وصاحب دواوين: (الحاني) و (الأبابيل) و (صدى الألحان) ومؤلف (أين نحن اليوم) و (المرصاد) و (لا رق في القرآن). ديوان (الهوى والشباب) ص ٦٢.

في الرباعية الأولى يحدثنا فلالي أنه ركب مع صحبه زورقًا يختال فوق النهر لتردد الأمواج في جنبات الزورق، فيهزه هزه هذه المختال في مشيته، وهم فوقه على سطح الماء ينعمون برحلة بديعة، ونزهة جميلة، وقد نثرت كؤوس الشاي كأنها الأنجم الزهر واللحن ينساب عذبًا رقيقًا جميلًا، ومثل ذلك الجو الحالم يدعو إلى الاحتساء والشراب تمتعًا به، وانتهازًا لتلك النزهة الجميلة فوق سطح الماء، يقول فلالي:

وفي يوم ركبنا زور ... قاً يختال في النهر
وقد نثرت كؤوس الشا ... ي مثل الأنجم الزهر
ولحين القول منسجم ... كسمط الدر في النحر
فقلت اليوم أحسوها ... وحسبي اليوم من عمري

ويكمل عطار الرحلة والنزهة في رباعيته.

ففي الثانية يرى الزورق الطافي فوق سطح الماء، ويهزه الموج فيتمايل كالثمل تمامًا، أو كأنه يشارك من عليه سرورهم وفرحهم وسعادتهم بالنزهة فوق سطح الماء، فهل هي العدوى سرت فيه، فشاطر من عليه طربهم وألحانهم، فراح يهتز نشوانًا، أو أن الماضي وذكرياته المؤلمة قد ألم به، فأصابه بالاضطراب فوق سطح الماء. يقول عطار:

وهذا الزورق الطافي ... تمايل مثل من شربا
وشاركنا السرور فهل ... تذوق مثلنا الضربا
أم العدوى سرت فيه ... فشاطر من به الطربا
أم الماضي تذكره ... فشق الماء مضطرباً

وفي الرباعية الأخيرة يختم الشاعر القصيدة ختاماً مأساوياً فيربط بين تلك الرحلة الرائعة وما أصاب الزورق في نهايتها والمعتدين وما يفعلونه بالوطنيين وأصحاب الأرض.

يذكر الشاعر الحياة فوق الزورق فيما مضى، حين كان يتهادى بهم فوق سطح الماء، ويهتز لطفًا من ريح الصبا التي تجعل الإنسان يشعر بالسعادة والنشوة، وكذلك الزورق، وكانت الطيور تشدو فوقهم طربا، وهو منظر بديع يجعل من الرحلة متعة ولذة وسعادة، ولكن ذلك كله ينقلب إلى ألم وحسرة وحزن، فإذا بالزورق يضطرب فوق سطح الماء، وكأنه نزل صاروخ أو قنبلة من الأعداء، تشبه هذا الذي يفعله الأعداء به وبأهله وبوطنه، وقد ذاق المرار والعذاب تحت وطأتهم. يقول عطار:

ألـــم يـــك ســـرحة مـــن قبـــ ـــــل أن يغـــدو لنـــا طوفـــا
ألـــم يـــك مورقـــاً يهتـــز زمـــن ريـــح الصـــبا لطفـــاً
ألـــم تـــرقص عليـــه الطيـــ ـــــر صـــفا زاحـــم الصـــفا
ولكـــن ذاق مثلـــي مـــن أكـــف المعتـــدي العســـفا

ج ـ الحرب والسلام:

تشتعل الحرب الكبرى الثانية بين بعض الدول، ويشتد لهيبها، ويؤثر ذلك في الشعر آنذاك، فتشكل تلك الحرب موضوعًا وصفيًا في شعرنا العربي الحديث، يصورها، ويصف أهوالها ومخاطرها، وأهداف المتحاربين فيها، والضرر الذي سيعود على العالم منها.

ومن الشعراء الذين شهدوا تلك الحرب وتأثروا بها، ووقفوا على آثارها المدمرة، شاعرنا عطار، فنظم فيها قصيدة طويلة على نطاق المقطوعات، بنى كل مقطوعة فيها على روي مختلف، وجعل لها عنواناً هو (الحرب) [1] وأذيعت من محطة الإذاعة المصرية في مايو سنه ١٩٤٣م.

وقد صور فيها الشاعر ما تؤدي إليه الحرب من خراب، وما تحدثه من دمار، متخذاً من قرية غافية مطمئنة، وقصر فيها أبدع تصميمه، تقيم فيه أسرة ذهب

(١) الديوان: ص ١٠٥ – ١٢٠

عائلها إلى الحرب، ثم تبدلت حال تلك القرية وذلك القصر بسبب الحرب. اتخذ الشاعر من ذلك أنموذجًا حيًا لآثار الحرب التدميرية، وكأنه يحذر منها ومن آثارها.

واسترسل الشاعر في وصف حال تلك القرية، ومظاهرها الخلابة، ومناظرها البديعة قبل الحرب، ثم ما أصابها من خراب ودمار بعد الحرب، في مقابلة بديعة بين حال القرية قبل الحرب، وحالها بعد الحرب، وما كانت تنعم به من الأمن والاستقرار والاطمئنان والسعادة والازدهار وحال القرية بعد الحرب، وما أحدثته الحرب فيها من تخريب وتدمير في الأرض والطبيعة والمنشآت وتبديل الأمن خوفاً وفزعاً، والسعادة ألماً وحزناً، والخضرة بوارًا وسواداً، وما أصاب الأطفال والنساء والرجال من ويلاتها[1].

وسنجتزئ من ذلك الجزء من القصيدة – التي تعد أطول قصيدة في الديوان – قدراً محدوداً يشير -في إيجاز- إلى الموازنة بين حالي القرية. يقول الشاعر:

ثمت حيث القرية الغافيهْ ... قصر بناه صانع مبدعُ
فيه كنوز الأعصر الخاليهْ ... ووجها الزاخر مستجمعُ
فيه تهاويل الدنى الساجيهْ ... وفيه ما يُزهي وما يسطعُ
فيه عصارات النهى الراويهْ ... وفيه تاريخ الورى الممتعُ
وفيه بدع الشعر والقافيهْ ... يملي على العالم ما ينفعُ
أوت إليه أسرة هانيهْ ... بُعداً عن الحرب وما تبلعُ
وعاهل الأسرة في اللاظيهْ ... يصلَى ونار الحرب لا تهجعُ
راح إلى الحرب إلى الهاويهْ ... إلى الردى غضبان لا يهلعُ
مدافعاً عن أمة ساميهْ ... ذات فخار شاده أروعُ
يطلب عز البلدة الغاليهْ ... بالروح يفديها وما يمنعُ

ويقول الشاعر مصورا حال القرية والقصر بعد الحرب:

(1) استغرق هذا الجزء من القصيدة: ص١٠٥-١١٥ من الديوان

تخالهـــا مـــن حســـنها جنـــة ... خالـــدة لكنهـــا لـــم تـــدمْ
فالمـــدفع العاصـــف قـــد هـــدّها ... وعـــاث فيهـــا بـــاللظى والـــنقمْ
صـــب علـــى القريـــة نيرانـــه ... وأحـــرق الأجســـام حتـــى الـــرممْ
كأنمـــا الشـــيطان فـــي ثـــورة ... يقـــذف بالويـــل ويرمـــي الـــرجمْ
فهـــا هـــو القصـــر بـــدا واجمـــا ... كالثاكـــل المفجـــوع يبكـــي بـــدمْ
أيـــن كنـــوز الأرض أيـــن الحلَـــى ... أيـــن مجـــالي الأنـــس أيـــن الـــنعمْ
والـــروض مـــا للـــروض مســـتغرقاً ... فـــي حزنـــه أثخـــن فيـــه الألـــمْ
وهـــاجرتْ أطيارهـــا كلهـــا ... تاركـــه فردوســـها للحُمَـــمْ
لـــم يبـــق فيهـــا غيـــر أيـــدي البلـــى ... تنســـج للأحيـــاء ثـــوب العـــدمْ
فيـــا إلـــه الكـــون مـــن نرتجـــي ... ســـواك فـــي الـــويلات إذ تـــدلَهمْ

ثم يصور الشاعر- بعد ذلك – شؤم الحرب، وأصواتها المرعدة، وأثرها في موت الأفراح في مهدها، والحرائق التي تأتي على كل شيء في الأرض، والأهوال التي يواجهها الناس، ويشير إلى من أشعلوا تلك الحرب لعذاب الوجود، فيصورهم وقد احتدم الغيظ في صدورهم، وانعدمت الرحمة من قلوبهم. يقول الشاعر[1]:

الحـــرب يـــا للحـــرب يـــا شـــؤمها ... تفجـــرت وانطلقـــت مـــن قيـــودْ
فاســـتيقظ الكـــون علـــى رَجَّـــة ... تصـــعق مـــن يســـمعها أو يبيـــدْ
وماتـــت الأفـــراح فـــي مهـــدها ... وصـــارت الآمـــال طـــيّ اللحـــودْ
وصـــوَّحَ الزهـــر علـــى غصـــنه ... كيـــف يطيـــق الزهـــر قصـــف الرعـــودْ
وقـــدَّت الأوتـــار محـــرودة ... فانطلقـــت أناتهـــا كالوعيـــدْ
والأرض أمســـت موقـــدًا للـــورى ... تحتـــرق الأعمـــار فيـــه كعـــودْ
وقـــوده النـــاس وآثـــارهم ... فلجـــت النـــار وجُـــنَّ الوقـــودْ

(١) الديوان: ص ١١٦.

واستأســـــد الهـــــول بطغيانـــــه ... فـــأقعص الشـــيخ وشـــاب الوليـــدْ
واحتـــــدم الغـــيظ بصـــدر الألـــى ... قـــد أشـــعلوها لعـــذاب الوجـــودْ
أفـــــرت الرحمـــــة مـــــن بيـــــنهم ... فـــذوَّقوا العـــالم بطـــش الحديـــدْ

إنها قصيدة رائعة صورت الحرب وآثارها تصويرا دقيقا بديعًا، وكشفت عما تحدثه الحرب من دمار وخراب، كما بنيت كراهية الشاعر للحرب، وبغضه لمن يشعلها، وحبه للسلام، وتطلعه إليه؛ تخلصا من الحروب وويلاتها، حيث إن السلام يضفي على الأرض الطمأنينة والسكنية، ويزرع في قلوب الناس الأمن والاستقرار.

لذلك نجد الشاعر عطار في قصيدة له بعنوان (السلام) [1] يشدو بالسلام، ويُفصِّل القول في محاسنه، وآثاره العظيمة، التي تعود بالخير على البشرية، بعد أعنف وأشرس حرب شهدتها البشرية في العصر الحديث، وهي الحرب العالمية الثانية.

بدأ الشاعر قصيدته بوصف ما خلقته الحرب، والرياض التي عفت وانحى أثرها، والشياطين التي عربدت تنشر الذعر والخط، والسنا أصبح غيهبا، والدجى أحاط بكل شيء حتى سد منا فذ البصر، والناس يهلكون زرافات ووحدانا، والموت زلزل البشر، وأصابهم بالزعر والهلع، إنها الحرب التي لم يكن منها مفر، الحرب التي أوقدها كل شيء ظاهر أو مستترا. يقول الشاعر:

أه لا أبصـــــــــر الصُّـــــــــوى ... وانطـــــوى الـــــدرب وانـــــدثرْ
هـــــا هنـــــا ثـــــم هـــــا هنـــــا ... حُفَـــــــر خلفهـــــا حُفـــــرْ
والريـــــاض التـــــي زهـــــت ... قـــــد عفـــــت وامَّحـــــى الأثـــــرْ
والشـــــــياطين عربـــــــدت ... تنشـــــر الـــــذعر والخطـــــرْ
والســـــنا صـــــار غيهبًـــــا ... والـــــدجى أغلـــــق البصـــــرْ

(1) السابق: ص ١٠٢، ١٠٤

لا يـــــرى مســـــلك الهـــــدى وامَّحـــــى الطـــــود والشـــــجرْ
والـــــــــورى آده التَّـــــــــوى والـــــــردى زلـــــزل البشـــــرْ
أي شـــــيء نـــــرى هنـــــا إنهـــــا الحـــــرب لا مفـــــرْ
وهْـــــي حـــــرب وقودهـــــا كـــــل مـــــا بـــــان واســـــتترْ

ويتعجب الشاعر من لعب الناس بالشرر، واستهانتهم بالحروب، ويتساءل: إلى متى سيظلون هكذا؟ أما عرفوا مخاطر الحروب وأضرارها؟ ألم يذوقوا ويلاتها ويصطلوا بنارها؟ فإلى متى سنظل نكتوي بنار الحروب ونحتسي العلقم والكدر؟ فيأتيه صوت محبب يهتف بالخبر السعيد، انتظروا ساعة المنى، ساعة السلم، فقد وضعت الحرب أوزارها، وصدق الهاتف فقد جاء السلم، وهتفوا به جميعا، وضرعوا إلى الله شاكرين أن نجاهم من تلك الحرب الضروس، ووضع لها نهاية، بعد أن كادت تفنى بسببها البشرية، وذهب الشر وولى وانقضى زمنه، بعد أن روع الكون وأصابه بالذعر والخوف. يقول الشاعر:

ليـــــت شـــــعري إلـــــى متـــــى يلعـــــب النـــــاس بالشـــــررْ
ليـــــت شـــــعري إلـــــى متـــــى نجـــــرع الصـــــاب والكـــــدرْ
قـــــال صـــــوت محبـــــب اســـــمعوا عنـــــدي الخبـــــرْ
أيهـــــا العـــــالم الـــــذي فقـــــد النـــــور واعتكـــــرْ
انتظـــــر ســـــاعة المنـــــى ســـــاعة الســـــلم والظفـــــرْ
فانتظرنـــــــا وإذ بنـــــــا نشـــــهد الســـــلم فـــــي الســـــحرْ
فهتفنـــــــا وكلنـــــــا يشـــــــكر الله والقـــــــدرْ
قـــــد غفـــــا الشـــــر بعـــــدما روَّع الكـــــونَ واســـــتقرْ

ثم يصور الشاعر آثار السلام وخيراته، وما أحدثه في الكون من تغيير، وفي نفوس الناس من أمن واستقرار حيث الأماني أصبحت طليقة، ترقص بهجة وابتهاجًا

بالسلام، والناس راضون يتبادلون الزهور والورود، ويغنون للسلام الذي لاح كالقمر في دجى الليل، وبدد ظلمة الحرب، وأحال أيامها السوداء أياما بيضاء، وطار الناس إلى الربى يشدون بالأناشيد، يتقدمهم شاعر رقيق يغني للسلام، فينظم الغرر من الشعر، فإذا هو الحادي الذي يعزف ألحانا عذبة رقيقة بشعره الرقيق العذب. يقول الشاعر:

فالأمـــــــــاني طليقـــــــــة ضَـــــوْعها فـــــاح وانتشـــــرْ
قـــــد تراقصـــــن بهجـــــة وتقـــــاذفن بـــــالأُكَرْ
وتبســـــــمن للـــــــورى عـــــن غـــــوال مـــــن الـــــدررْ
وإذا بالنـــــاس عـــــن رضـــــا يترامـــــــون بـــــالزهرْ
ويغنـــــــون للســـــــلا م الـــــــذي لاح كـــــالقمرْ
ثـــــم طـــــاروا إلـــــى الربـــــى بالأناشـــــيد والســـــورْ
وتهـــــــادى أمـــــــامهم شـــــاعر يـــــنظم الغـــــررْ
وحـــــدا بالنشـــــيد مســـــ ـــــتعذب اللحـــــن مبتكـــــرْ

ذلك اللحن العذب الرقيق الذي يشدو به الحادي، يهتف فيه برفاقه أن يتمتعوا بالسلام الذي ازدهر وشاع في كل الأرجاء، وبين كل الشعوب، ويتركوا الأمس بمآسيه وأحزانه وهمومه، ولا يفكروا فيه، ولا يتذكروه، وإنما يذكروا يومهم هذا السعيد فيسعدوا به، ويقطفوا ثمار السلام التي أينعت فينعموا بها، ويطلب إليهم أن يستمتعوا بالجمال والشعر والكأس والموسيقى، ويستلذوا بها في ظل السلام، وينتهزوا أيامه في سعادة وهناء، قبل أن يأتي الغد، فقد يكون فيه مآسي وكدر وأحزان وهموم، وقد ينتج عنه هلاك وردى ينتظران الورى، وما لهم منها مفر إن حدث ذلك يقول الشاعر:

وحـــــدا بالنشـــــيد مســـــ ـــتعـــــذب اللحـــــن مبتكـــــرْ

يـــــا رفـــــاقي تمتعـــــوا بالســـــلام الـــــذي ازدهـــــرْ
واتركـــــوا الأمـــــس واذكـــــروا يـــــومكم واقطفـــــوا الثمـــــرْ
يـــــا رفـــــاقي الجمـــــال والشـــــعر والكـــــأس والـــــوترْ
اســـــتلذوا بهـــــا فمـــــا فـــــي غـــــد مطلـــــع يســـــرْ
كـــــل مـــــا فـــــي غـــــد أســـــى كـــــل مـــــا فـــــي غـــــد كـــــدرْ
والتَّـــــوى راصـــــد الـــــورى مالـــــه عنـــــه مـــــن مفـــــرْ

هكذا سعد الشاعر بالسلام وصور فرحة الكون والناس به تصويرا حسنا بديعا، واستطاع أن يبرز آثار السلام الحميدة في قصيدته، بعد مآسي الحرب وويلاتها.

٣ـ الحكمة في ديوان عطار:

وشح عطار بعض قصائده في الديوان ببعض أبيات وقصائد ومقطعات في الحكمة، المستمدة من تجارب الحياة، ومن خبرته في الحياة أيضاً.

وحكم عطار بسيطة واضحة، لا أثر للتعمق الفلسفي فيها، شأنه في كل شعره في الديون، حيث نراه يميل إلى البساطة والسهولة، ولذلك غلب الوضوح على شعره في ديوانه.

ولهذا حين نطالع الحكم التي وشح بها بعض قصائده، فتتبادر إلى أذهاننا مباشرة مراميها ومغزاها، فهي حكم مباشرة مستمدة من واقع الحياة، ومن أحداثها اليومية، وهذا هو سر بساطتها ووضوحها، وقربها من الأفهام.

ومن أبياته في الحكمة ما يبين أن الشيء إذا كان صعب المنال كان محبباً إلى النفس، بينما الشيء الميسور مكروه، ويمله الإنسان، فالنفس مغرمة بما يُنال بعد تعب ومشقة. يقول عطار[١]:

أرى المثـــل الأعلـــى جمـــيلاً محببـــاً إلـى الـنفس إمـا كـان فكـرة شـاعرِ

(١) الديوان: ص ٣٥.

فلـو كـان ميسـورا وفي الوسـع نيلـه لُمْـلَّ وأمسـى فـي عـداد الصـغائرِ
ومـن دأبنـا حـبُّ المنيـع وكرهنـا لمـا كـان ميسـورا لإدراك قـادرِ

ومن حكمة ما نصور انقلاب الأوضاع في عصره، فحثالة الناس في القمم، وأرباب الكفايات في السفح، يقول(١):

حثالـة النـاس قـد دانـت لهـا قمـم ولازم السـفح أربـاب الكفايـات

وهو يرى في الأيام دائماً قتلا لأمانيه، حيث تعصف دوما بالأحلام الزواهي، وتغري بالناس الردى. يقول(٢):

ومـن شـيمة الأيـام تغـري بنـا الـردى فيعصـف بـالأحلام كـنَّ زواهيـا

وتلك نظرة تشاؤمية إلى الحياة، وإلى تعاقب الأيام، كأنه لا يرى في هذا التعاقب إلا المصائب.

ومن قصائده التي أفردها للحكمة، قصيدة يدعو فيها إلى التواضع، وخفض الجناح فمهما تعالى الإنسان وتكبر فلن يغادر الأرض، وعليه أن يدرك تلك الحقيقة، ويتذكرها دائماً، ولا يجري وراء الأوهام.

وقد عبرت قصيدته الآتية عن هذا المعنى أصدق تعبير. يقول عطار(٣):

إلى أيـن تمضـي مـن عروجـك صـاعدا إلـى الكوكـب القاصـي تطيـر وتـدأبُ
رويـدك إلـى الـنجم قـاص دراكـه بعيـد مـدى فـاقنع كمـا هـو أقـربُ
فمـا عـاش مـن ألقـى إلى الـوهم نفسـه يطيـر بهـا نحـو السـماء ويـذهبُ
وهـل يسـتطيع الحـي أن يبلـغ السـهى وهـذا وثـاق الأرض مـا انفـك يجـذبُ
وإن بسـط النسـر الجنـاحين طـائرا فلـيس يريـد الـنجم أو فيـه يرغـبُ

(١) الديوان:: ص ٥٠.
(٢) السابق: ص ١٣٧
(٣) السابق: ص ٦٧، ٦٨.

فـإن لـه مـن نفسـه مـا يصـونه ... عـن الحمـق أو يحميـه عمـا يعـذبُ
فـإن أمعـن التصـعيد أو جـاوز المـدى ... فلـيس لـه عـن أمـه الأرض مـذهبُ
ومـا النسـر في تحليقـه يبتغـي العلـى ... ولكنـه يرتـاض فيهـا ويلعـبُ
فـلا تعـدُ خلـف الـوهم يـا صـاح حالمًـا ... وأنـت وثيـق مـا لجسـمك مهـربُ
وعـش في أديم الأرض واصعد إلى الذرى ... بروحـك وارقـب مـا يلـذ ويعجـبُ
وفـي الأرض للأحيـاء زاد مـزود ... وفيهـا لهـم مـا يسـتطاب ويعـذُبُ
ومـن لـم يجـد في الأرض مطلبـه الـذي ... يُرَجِّـي فمـا فـي غيرهـا متطلـبُ

ومن مقطعات عطار التي قامت على الحكمة مقطعة بعنوان (هي دنيا) [1] يبين فيها حقيقة الدنيا، فيقول:

قالـت الكاعـب الجميلـة صـفني ... قلـت مـاذا أقـول في وصـف غـادهْ
كـل عضـو بهـا يزينـه الحسـ ... ـن وفـي ثغرهـا رحيـق السـعادهْ
هـي روض الربيـع يزخـر بـالنو ... ـر فقـد ظـل ناشـراً أبـرادهْ
فيـه شـتى الفنـون والأمـل الصـا ... ـدق والسـحر والهـوى و السـيادهْ
هـي دنيـا وإنمـا ميزتهـا ... روحهـا والغريـزة الوقـادهْ
صـاغها الله وخـدها كمثـال ... لجمـال الأنوثـة المسـتجادهْ

وتتناثر الحكم في ديوان عطار، يوشح بها أبياته ومقطعاته وقصائده، وهي تعكس اهتمام عطار بالحكمة من أجل النصح والإرشاد، وتقديم خبرته في الحياة للآخرين، لاسيما الناشئة منهم.

(١) السابق: ص ٤١.

٤ـ الرثاء:

فن الرثاء من الفنون الشعرية القديمة، ومن الفنون التي شاعت في شعرنا العربي على مدى عصوره المتعاقبة، لكنه برغم ذلك نادر في ديوان عطار، حيث لم نجد فيه من الرثاء إلا قصيدة واحدة، بعنوان (فجيعة في حبيب) [١].

في هذه القصيدة يبكي الشاعر حبيبًا رحل، لكنه لا يحدده، وقد بدأها الشاعر بالحديث عن حاله التي كانت زاهرة وعامرة بالأماني والفرح قبل الفجيعة، وصور نفسه كطير الروض يشدو مغنيًا، وكان يُمنِّي نفسه بعيش رغيد، والكون من حوله ضاحك، وكل شيء حوله يبعث في نفسه السعادة والمرح، كما صور حبيبه منبعًا للفن والهوى، ومسرح أماليه، ودنيا غرامه، وجنة إحساسه، ومصدر إلهامه، وكان يرى فيه الرفيق القريب من قلبه، والحبيب المصافي، وكان يرى الكون باسمًا في قربه، كما يراه جميل المُحيَّا، دائم البِشر زاهيًا، وفؤداه لاهٍ، يلعب بأطياف الأماني الغوالي، وهو دائمًا يستوحي الجمال، ويشتار من شهد الحياة وسحرها، وينهل من نهرها الدَّفاق. يقول الشاعر:

جنيت علي مر الزمان أمانيا ... رقصن بقلبي أنهُرا ولياليا
فكنت كطير الروض يشدو مغنيا ... ويرقص فوق الدوح جذلان لاهيا
وكنت كورد أنعش الطل غرسه ... يضاحك أفنان الرياض النواميا
وكنت أُمنِّي النفس والكون ضاحك ... بعيش رغيد يسكب البشر حاليا
وكان خليلي منبع الفن والهوى ... ومسرح أمالي ودنيا غراميا
وجنة إحساسي وينبوع فتنتي ... ومصدر إلهامي عميقا ومواتيا
وكنت أرى فيه الرفيق المدانيا ... وكنت أرى فيه الحبيب المصافيا
وكنت أرى في قربه الكون باسما ... جميل المحيا دائم البشر زاهيا

(١) الديوان: ص ١٣٢، ١٣٧.

وكـــان فـــؤادي فـــي الطفولـــة لاهيـــا يلاعـــب أطيـــاف الأمـــاني الغواليـــا
وفـي ملعـب النعمـى مراحـي ومـذهبي وألهـــو وأســـتوحي الجمـــال قوافيـــا
وأشـــتار مـــن شـــهد الحيـــاة وســـحرها ومـــن نهرهـــا الـــدفاق أنهـــل راضـــيا

وفجأة – بعد ذلك كله– تغير كل شيء، وتبدلت الحال، فإذا بالزمان يسوؤه، ويحطم آماله، ويقتل فؤاده، فلف الردى خليله، أبصره يمضي إلي القبر، وكأن الموت يبغي فناءه، فهو نصفه، وتوأم روحه.

وهنا أصبحت حال الشاعر بؤسا، حين غاب حبيبه وأمسى في قبره، فأمسى هو محزون، وتحول جمال الربيع إلى منظر كئيب بغياب حبيبه، ولم يعد يرى في الكون بشرا ولا سعادة، وهنا تسوقه تلك الحال إلى الحكمة، فالمرء في الدنيا بغير أليفه جسد بال، والدنيا إن خلت من الإلف والهوى فهي الشوك يدمي المآقي. يقول الشاعر:

فمـــا راعنـي غيـر الزمـــان يســـوءني ويحطـــم آمـــالي ويفـــري فؤاديـــا
رأيـــت خليلـي حينمـــا لفـــة الـــردى و أبصـــرته يمضـــي إلـى القبـر ناجيـا
وراح إلـى المجهـــول يســـرع خطـــوه كـــأن مـــلاك المـــوت يبغـــي فنائيـــا
ألـــم يـــدري أنـــي نصـــفه وبقيـــة مـن الجسـد الغـافي فيـا بـؤس حاليـا
لقـــد غـــاب عنـــي وأمســـى بقبـــره فأمسـيت محزونـا و أصـبحت باكيـا
ولســـت أرى حســـن الربيـــع بفـــاتنٍ إذا كـان مـن أهـوى عـن الطـرف نائيـا
ولسـت أرى في الكـون بشـرا ولا سـنا وخلـــــي نـــــاء لا أراه مـــــدانيا
فمـــا المـــرء فـي الـــدنيا بغيـر أليفـــه سـوى جسـد يمسـي على الـدهر باليـا
وإن خلـت الـدنيا مـن الإلـف والهـوى فمـــا هـــي إلا الشـــوك يـــدمي المآقيـــا

ويستمر الشاعر في تصوير بؤسه وشقائه بعد غياب حبيبه، حيث تبدلت حاله تماما، وتحولت كل مظاهر الجمال من حوله إلى مظاهر كآبة وحزن، بعد فجيعته في

حبيبه، وكأنَّ الكون كله حزين مثله على حبيبه، ولم يعد شيء في الكون جميلا، ولم يعد له في الدنيا أمنيات، وتحول الكون الجميل إلي خواء، يظلله الحزن.

وفي ختام القصيدة يبين الشاعر السبب في كل ذلك التحول والتغير الذي أصاب الكون، إنه غياب حبيبه، ورحيله عن الدنيا، ذلك الحبيب الذي رحل، وترك له الحزن والكآبة والهموم، فأصبح كأنه يمشي علي شوك، يبيت لياليه في سهد، ويتجرع آلامًا ثقالا، فراح يتمني الفناء، بدلا من أن يعيش في شقوة وعذاب، وبدلا من أن يكون علي الدنيا لا هو ميت فيستريح من الضنى، ولا هو يحظى بالذي كان يرجوه. يقول الشاعر:

لقد راح من أولى الوجود بشاشة ... وأزكاه بشرًا أو حباه أياديا
فيا ليت أني قد لحقت بفاتني ... ولم أبق في بحر المصائب طافيا
بقيت كأني فوق شوك مؤلَّل ... أصارع في نفسي الهموم العواديا
وبت الليالي ساهرا جدَّ يائس ... أُجرِّع آلاما ثقالا مواضيا
و أندب حظي آسيا متمنيا ... فناء ولكن لا عليَّ ولا ليا
ولم أعتقب إلا عذابًا وشقوةً ... أُعالج أدوائي فينفر ما بيا
فلا أنا ميْتٌ أستريح من الضنى ... ولا أنا أحظي بالذي كنت راجيا

٥ ـ الشعر الاجتماعي:

وفي ديوان عطار أبيات وقصائد يتناول فيها بعض السلبيات والمساوئ الاجتماعية، المنتشرة بين أفراد المجتمع، وبعض العادات والتقاليد البالية، والأوضاع الاجتماعية المعكوسة.

وهو في تلك الأبيات والقصائد يبدو مصلحا وموجها إلي الأحسن والأصلح، ويظهر حرصه علي سلامة مجتمعه من المفاسد، وسلامة سرائر الناس فيه، وتطلعه إلي

وجود مجتمع فاضل يتحلى بالقيم والأخلاق الحميدة، ويبرز فيه التآخي والتعاون بين أفراده، ويسوده الحب والقيم الفاضلة.

وعطار في ذلك كله متأثر بدينه الإسلامي، ويعبر شعره الاجتماعي عن قيم الإسلام ومبادئه السامية، كما يتضح في شعره الاجتماعي سلامة عقيدته وقوتها، وانطلاقه من الروح الإسلامية.

وشعره في الجانب الاجتماعي كثير، وتتعدد شواهده في الديوان، ويتناول فيه العديد من المشكلات والمظاهر الاجتماعية، لكنا سنجتزئ منها هنا بعض الشواهد، بما يفي بالغرض، ويؤكد اهتمام عطار بهذا الجانب في ديوانه، وإن كان الملاحظ أنه يكثر من الحديث في هذا الجانب عن انقلاب الأوضاع في المجتمع، حيث يتردد هذا الموضوع في شعره، مع التركيز علي السلبيات الاجتماعية المتصلة بانقلاب الأوضاع في أكثر من قصيدة.

ومن شعره في هذا الجانب قصيدة بعنوان (حمار فوق الرؤوس)[1]، يؤكد فيها علي انقلاب الأوضاع في عصره، ذلك الانقلاب الذي لم يعد يجدي معه صبر، وكيف يصبر الإنسان والمأفون منتفخ، والعظيم صديان، والرعديد شبعان، والمملوك في حلل يختال فيها، والحر عريان، والظالم يحمده الناس.

لقد أصبحنا في زمن يسود اللئام فيه، وفي أيديهم كل متع الحياة ونعيمها، بينما يعاني الشهم ألوانا من الذل.

والشاعر أمام ذلك الوضع حيران لا يدري ماذا يفعل ولا ماذا يقول، وقلبه كاد يحطمه ذل العزيز وموت الحر؛ ولذلك يتمني أن يعيش بلا قلب، ويغدو من العميان، فلا يحس بآلام ولا نقص، ولا يري بائع الأوطان دهمانا.

---

(١) الديوان: ص ٤٥-٤٧.

والقصيدة طويلة، نجتزئ منها تلك الأبيات، التي يؤكد فيها الشاعر علي انقلاب الأوضاع في المجتمع.

يقول:

فكيف تنصحني بالصبر واعجبا ... أن تطري العجز يا من كنت بركانا
كيف التصبر والمأفون منتضج ... ريا و يغدوا العظيم الندب صديانا
كيف التصبر والرعديد في شبع ... والقرم يطوي الليالي الود غرثانا
كيف التصبر والمملوك في حلل ... يختال فيها ويمشي الحر عريانا..؟
كيف التصبر والظِّليم يحمده ... من كان بالأمس للظُّلاَّم طعانا؟
أين الخراب لبيت الظلم لم أره ... إلا رفيع الذرى قد طال بنيانا
ومنزل العدل يا ويحي غدا طللا ... مستوحشا يجرع الآلام عصانا
والجاه في قولهم والمال في يدهم ... وكل شهم يعاني الذل ألوانا
آه لو أنَّا بلا قلب نعيش به ... وحبذا لوغدونا اليوم عميانا
فلا نحس بآلام ومنقصة ... ولا نرى بائع الأوطان دهقانا
ماذا أقول وقلبي كاد يحطمه ... ذل العزيز وموت الحر بهتانا

ويختم الشاعر تلك القصيدة بالنصح والإرشاد لأصحابه، فينصحهم بأن يكونوا أبطالا، ويسقوا عبيد الخنا والبغي ذيفانا، ولا يستسلموا لصبر الضعيف المتخاذل، ويثوروا بكل حمار صار مقعده فوق الرؤوس، وكل كلب صار إنسانا. يقول الشاعر:

يا صاحبي الفذ لا تصبر وكن بطلا ... يسقي عبيد الخنا والبغي ذَيْفانا
وجانب الصبر لا ترفع له نصبا ... نافى الكمال ولا تسخر بشكوانا
وثُرْ بكل حمار صار مقعده ... فوق الرؤوس وكلب صار إنسانا

إنها قصيدة تفيض سخرية من الأوضاع المقلوبة في عصر الشاعر، وتعكس ضيقه وتبرمه من هذا الوضع المقلوب، وتطلعه الصادق إلى انتمائه، حتى عنوان القصيدة

(حمار فوق الرؤوس) يفيض أيضا سخرية من انقلاب الأوضاع، ويوحي بترم الشاعر من احتلال الخسيس الدنيء للقمم.

ويعلن الشاعر عن مذهبه في الحياة مقلوبة الأوضاع، الذي يتمثل في أن يقضي العمر بعيدا عما يسيء ويضني؛ لأن كل ما في الحياة سخف ومجون و أكاذيب، بينما العقل والفضيلة لا مكان لهما، فالحياة يسودها الظلم، الذي يطعن الإنصاف والعدل شر طعن، والناس جميعا، وكل الخلائق، في عذاب بسبب الظلم، وغياب الإنصاف، واختفاء العدل، فالدنيا في عصر الشاعر مسرح كبير عامر بكل المظاهر الفظيعة، التي تقتل الروح، وتميت الإباء.

ولذلك يري الشاعر الحل والخلاص في ألا يعيش مع النذل ولا يرضي بالهتان.

يقول الشاعر[1]:

مـذهبي في الحيـاة أن أقضـي العمـ ـر بعيـدا عمـا يسـيء ويضـني
فهنـا السـخف والمجـون و أصـوا ت الأكاذيـب مزقـت كـل أذن
هـا هنـا العقـل والفريضـة والأعـ ـراض أمسـين فـي لطـام وحـزن
هـا هنـا الظلـم سـائدا يطعـن الإنـ ـصاف والعـدل والحجى شـر طعـن
هـا هنـا النـاس والخلائـق طـرا فـي عـذاب مـن القيـود و سـجن
مسـرح عـامر بكـل فظيـع يقتـل الـروح والإبـاء ويفنـي
كيـف أرضـي بـأن أعـيش مـع النـذ ل أرى بالهتـان يمطـل دينـي

إن الجانب الاجتماعي في ديوان عطار جانب مؤثر ومثير، ويعكس حسرته من أوضاع المجتمع، وما فيه من سلبيات، وسلوكيات غير حميدة، عصفت به وبأمثاله من الشرفاء، فتطلع إلى انتهاء تلك الأوضاع، وعودة الأمور إلى نصابها الصحيح.

(1) الديوان: ص ٨٩-٩٠.

٦ـ الشعر الوطني:

يراد بالشعر الوطني هنا ذلك الاتجاه الذي يتناول فيه الشاعر قضايا الوطن المختلفة، والأمور الوطنية التي تتعلق بالوطن والمواطنين، وكذلك الحديث عن المظاهر السياسية المختلفة، والإشادة بالأبطال الوطنيين، والقادة والزعماء المخلصين، والتنديد بأرباب الفساد الوطني.

كل تلك الجوانب وغيرها مما يتعلق بالجانب الوطني والسياسي تندرج في إطار هذا اللون من الشعر.

والشعر الوطني عند عطار – برغم قلته- يعكس عاطفة وطنية صادقة، وينم عن حب خالص لوطنه، وعشق لأهله، وتطلع إلى ما يسمو بوطنه، و إلى الاستقرار والأمان لأهل وطنه.

وسنحاول هنا أن نجتزئ من شعره الوطني بعض النماذج تعكس تلك العاطفة، وتؤكدها.

يدفعه حبه لوطنه العربي، الذي كانت معظم دوله ترزح تحت الاستعمار، أن يدعو أهل ذلك الوطن إلى الثورة على المستعمرين ومن شاكلهم، فيقول[١]:

يا صاحبي الفذ لا تصبر وكن بطلا ... يسقي عبيد الخنا و البغي ذَيْفانا

وجانب الصبر لا ترفع له نُصُبا ... نافى الكمال ولا تسخر بشكوانا

وثر بكل حمار صار مقعده ... فوق الرؤوس وكلب صار إنسانا

ويعبر عطار عن حزنه العميق على وطنه الذي تشتت شمله، وضاعت وحدته، وانقلبت فيه الأوضاع، فالأموال كنزت بأيدي الجشعين، والأنذال يرفلون في الحرير وأجمل الخلع، وذوو الفضل حرموا من النعماء والمتع.

يعبر الشاعر عن حزنه لذلك، فيقول[١]:

---

(١) الديوان: ص ٤١.

لقـــد أمســـيت فـــي وطـــن ... شـــتيت الشـــمل منصـــدع
تـــرى أموالـــه كنـــزت ... براحـــة كـــل ذي جشـــع
ويرفـــل كـــل نـــذل فـــى الـــ ... ـحريـــر وأجمـــل الخلـــع
ويُحـــرم كـــل ذي فضـــل ... مـــن النعمـــاء والمتـــع

ويتحسر الشاعر على الشعوب المتنازعة، أو التي أصابتها حمى النزاع، وألقت بها في جحيم الإحن، وجعلتها تعيش في صراع دائم، كما يتحسر على أن إبليس سمسارها المؤتمن، وقائدها للضياع.

وهو بهذا كله يتحسر على ما هو أعمق وأبعد من هذا، وهو الوحدة التي ضاعت وتبددت بين الشعوب، وما حل محلها من فرقة ونزاع وصراع. يقول الشاعر: [٢]

هنـــا الأرض تـــركض فيهـــا المحـــن ... تصـــول صـــيال الـــذئاب الجيـــاع
وتخطـــو دراكـــا كخطـــو الـــزمن ... وتبلـــو الشـــعوب بحمـــى النـــزاع
وتلقـــي بهـــا فـــي جحـــيم الإحـــن ... لتـــردى وتحيـــا بهـــذا الصـــراع
و إبلـــيس سمســـارها المـــؤتمن ... و إبلـــيس قائـــدها للضـــياع

ويحيي الشاعر علم العروبة في نشيد وطني، نظمه لطلبة المعهد العلمي السعودي، وكان واحدا منهم سنة ١٣٥٣ هـ، ويرى هذا العلم راية المجد، ورمز الفضيلة والشمم، وقد رفعه الجدود في الذرى، وسادوا الوجود، وعززوا أم المدائن والقرى.

ثم ينادي الشاعر علم العروبة، فيقول: إننا نحمي حماك على مدى الزمن، إننا نحمي حماك ومالنا بعد الإله سوى الوطن نحميه وندافع عنه، وعن رايته الخفاقة العالية.

---

(١) السابق: ص ٥٣.

(٢) السابق: ص ١٦٥-١٦٦.

يقول الشاعر: [١]

يـــــا رايـــــة المجـــــد الأتـــــمْ رمـــــز الفضـــــيلة والشـــــمم

سودي البسيطة والأمم

رفـــــع الجـــــدود وركـــــزوا علـــــم العروبـــــة فـــــي الـــــذرى

ســـــادوا الوجـــــود وعـــــززوا أم المـــــــــدائن والقـــــــــرى

بالعلم سادوا و الحسام

علـــــم العروبـــــة إننـــــا نحمـــــي حمـــــاك علـــــى الـــــزمن

نحمـــــي حمـــــاك ومالنـــــا بعـــــد الإلـــــه ســـــوى الـــــوطن

و لأنت رمزهما القوام

٧ـ شعر الأحداث التاريخية:

وهو الشعر الذي يتحدث فيه الشاعر عن أحداث التاريخ، أو يوظفها في شعره لهدف ما.

والشاعر كثيرا ما يلجأ إلى توظيف أحداث التاريخ في شعره في فترات الأزمات والشدائد غالبا، ليستنير بما فيها من مغزى، وما وراءها من عبر ودروس، وليبعث بها هممًا وعزائم أصابها الكلال، وخلدت إلى الراحة والاستسلام، وليذكر ببطولات أبطالها وأمجادهم، ليتأسى بهم أحفادهم في عصر الشاعر.

وقد يلجأ الشاعر إلى الحديث عن أحداث التاريخ إحياء لذكراها، والاحتفال بها، كما يحدث في كثير من المناسبات والأحداث التاريخية.

وعند عطار قصيدة بعنوان (جبل طارق)[١]، تحدَّث فيها عن ذلك المكان التاريخي الهام في حياة المسلمين وذكر فيها الفتح الإسلامي للأندلس، ودور طارق بن زياد في

(١) الديوان: ص ١٢١.

ذلك الفتح وتطرق إلى ما آل إليه حال لمسلمين في الأندلس، وحال هذا المكان التاريخي الهام كأنه ينادي المسلمين ليذكرهم باستعادة مجدهم، ويوقظهم من سباتهم الذي طال، بدأ الشاعر قصيدته بنداء ذلك الجبل الرابض في مكانه، ذلك الجبل الذي قهر الزمان بعزة، ويناجيه بعد النداء، ويبثه شكايته، فالزمان يشيب من هول الحرب، والكون يحصده الفناء، بينما أنت يا رمز الثبات ظللت حيا شابا، كأنك تستمد عزمك وقوتك من عزم طارق بن زياد وقوته، من يوم أن وطئ جزيرة الأندلس فاتحا لها، فلم تستذل، فأنت الضيغم الرابض فى مكانه، وكيف تستذل والذل يخشي بأس قوم آمنوا بعقيدة تفدى، ويدفعهم إيمانهم للتسابق إلى الجهاد، وقائدهم طارق يضرم الحماسة في نفوسهم.

وهنا يذكر الشاعر كلمة طارق بن زياد المأثورة، التي أثار بها حماسة الجنود، ودفعهم في قوة وحماس إلى خوض المعركة: (البحر من ورائكم، والعدو أمامكم) فليس لكم إلا أن تستبسلوا وتستأسدوا، فالنصر حليفكم بإذن الله.

يقول الشاعر:

يـــا رابضـــا قهـــر الزمـــان بعـــزة	يعنـــو لهـــا الـــزمن التـــي لا يهـــرمُ
بـدأ الزمـان يشـيب مـن هـول الـوغى	والكـــون يحصـــده الفنـــاء المـــرزمُ
وظللـت يـا رمـز الثبـات علـى المـدى	حيًّـــا يحـــول شـــبابه المتضـــرمُ
قَـــرَّت بصـــخرك مـــن إرادة طـــارق	روح شـــمخت بهـــا وعـــزم مفعـــم
مـــن يـــوم أن وطـــئ الجزيـــرة فاتحـــا	لـــم تســـتذل وهـــل يبـــذل الضـــيغم
الـــذل يخشـــى بـــأس قـــوم آمنـــوا	بعقيـــــدة تُفـــــدى و رأي يـــــدعم

(١) السابق: ص ٣٠-٣٤.

يتسابقون إلى الجهاد وطارق[١] يذكي الحماسة في النفوس ويُضرم
البحر خلفكم سعير مضرم والموت دونكم طريق مبهم
فاستبسلوا فالنصر في أيديكم واستأسدوا فلأنتم من يحكم

ثم ينتقل الشاعر إلى المعركة التي خاضوها، والنصر الذي حققوه، والحضارة التي أقاموها في بلاد الأندلس، فقد تبدلت قفارها حدائقا، ونعمت بلاد الأندلس بالأمن والأمان، ولكن سرعان ما تبدل الوضع، وتغيرت الحال، فتعاقبت دول كثيرة على ذلك الجبل الشامخ، وسرعان ما تنتهي، حتى انفرط عقد المسلمين في الأندلس، وزال سلطانهم عنها، ولكن يظل جبل طارق شامخا خالدا، يُذَكِّر بالماضي السعيد، ويبعث في الجبان قوة وعزيمة، فيندفع للدفاع عن المبادئ والقيم، مستعذبًا في سبيل ذلك الموت.

يقول الشاعر:

فرموا عدوهم بجنة يعرب الفرد منها صخرة لا تُحطمُ
وتملكوها لا طماعية بها لكن لتنتظم البلاد الأنعمُ
وتبدلت تلك القفار حدائقا يختال فيها البلبل المترنمُ
والقمة القسعاء بكْرٌ لم يطأ ها كاسر أو باسل متقحِّمُ
والسفح كالحرم المقدس آمن أنصاره وعدوه متحطِّمُ
حرية الدنيا أراك ملاذها لكنما قد قيد فيك العيلمُ
أذللته والبحر طاغية القوى فخناقة في قبضتيك مُلَملمُ
وعلي جوانبك العتيدة دمعه ثرُّ الشؤون وقلبه متهزمُ
وتعاورت أمم عليك قوية ذهبت و أنت الخالد المتلومُ
وبعثت في روح الجبان عزيمة حتى تهيبه الشجاع المُعْلَمُ

(١) طارق بن زياد فاتح الأندلس.

يستعذب الموت الزؤام مدافعًا عن مبدأ الحر الأبيّ ويُقْدِمُ

وينتقل الشاعر إلى الحاضر، وما يحدث الآن – في عصره – حول جبل طارق، ويصور المعارك الضارية، التي تدك الصروح، والطائرات التي تحوم حوله، والسفن التي تمخر في البحر بجانبه، وكأنما اشتعلت جهنم حوله في البر والبحر والجو، كل ذلك من أجل حماية الحمى، وصد الذين اقتحموه وتهجموا عليه، ولكن ليست الحرب التي من أجل الحرب والاعتداء، ولكنها حرب من أجل السلام الذي يعم الكون، ويتنعم الناس في ظله.

وبهذا يتبين لنا أن الشاعر من دعاة السلام، وأنه يتخذ من هذا الحدث التاريخ رمزا له، حين يذكر بحياة السلام والأمن التي عاشها أهل الأندلس في زمن الإسلام.

يقول الشاعر:

واليوم تدك الصروح وترتمي في جانبيك الطائرات الحوم
دفَّت على أثباج عيلمك القوي زمرا فواراها الخضم المعتم
وبدا جهنم يصطلي من حرها زمرا العداة وكل قرم يهجم
شَركَ ولكن من جحيم مسعر صاد الألى اقتحموا الحمى وتهجموا
في البر أوفي البحر الجوير تصد الغزاة مسدد لا يرحمُ
متربص إن لاح طيف عابر ما أخطأته قذيفة تتحدَّمُ
يحمي حمى أوطانه ويزود عن حرية الإنسان نعم القيِّمُ
ورجاؤه أن يستظل ببندها عفٌّ تَخَوَّن أو جهول يجرمُ
ويسود هذا الكون سلمٌ دائم ويظل في آلائه يتنعَّم

ويختم الشاعر قصيدته بنداء جبل طارق، ذلك الجبل الرابض كالهول في وجه من شنوا الحروب اعتداء فهلكوا، ويقول له: لا تزال أنت أيها الجبل رمز الإباء، الذي يحوطه أبطاله، وتحكي عن إبائه الأنجم.

يقول الشاعر:

يـــا رابضًـــا كـــالهول فـي وجـــه الأُلـي شـنوا الحـروب علي الشـعوب فَدُمْـدِموا
لا زلـــت رمـــز الإبـــاء يحوطـــه أبطالـــه وتَنـــثُّ عنـــه الأنجـــم

لقد أحسن الشاعر توظيف الحدث التاريخي هنا في التأكيد علي دعوته من أجل نشر السلام، ونبذ الحروب، حين ذكر في قصيدته ما عاش فيه الأندلسيون من رخاء وسلام وأمن وأمان بعد موقعة جبل طارق، وفتح الأندلس أمام الإسلام، وما سادها من حروب طاحنة، واعتداءات سافرة، اغتالت الرخاء والسلام، وقضت علي العلم والثقافة والفكر، كما قضت علي الأمن والأمان والاستقرار، وحولت الازدهار والحضارة، إلي خراب ودمار.

٨ـ المناجاة:

وفي ديوان عطار بعض أبيات في المناجاة، يناجي فيها ربه، ويدعوه، ويتضرع إليه.

وهي أبيات تدل علي قوة إيمانه، وسلامة عقيدته، وصدوره عن الروح الإسلامية أحيانا في شعره، كما تدل علي قوة صلته بربه، وعمق إحساسه بأن الخلاص من الشدائد والأزمات لا يكون إلا باللجوء إلي الله تعالي وحده.

أصابته حمي يوما، وأثرت في صحته بشدة، فلجأ إلي الله تعالي يناجيه، ويدعوه أن يصرفها عنه، وأن يكشف تلك الغمة، ويزيل عنه الحمى وآثارها، التي عصفت بصحته وجسده.

يقول الشاعر في ذلك[١]:

إنـــي فريســـة حمـــي جـــدُّ نافضـــة تُصْـلي فـؤادي وتستشـري على كبـدي
واستأسـد الرمـد القسـي علي بصـري وغـــم عينـي فيـــا ويلـي مـــن الرمـــد
وصـــار قلبـي بكـــفِّ الهـــول يعصـــره والسـقم يفتـك بـي والنـار في جسـدي

(١) الديوان: ص٥٥-٥٦.

وما تبقي بجسمي غير أعظمه ... تكسي بجلد وهذا الروح في صفد[١]
شتي سهام توالي فيَّ صاردُها ... غضبان لا ينثني عن جسم مضطهد
من كل ناحية يأتي مسدده ... يُصمي ولا مثل سهم جدَّ مصطردِ[٢]
فلا مفر من الحُمَّى وقد سكنت ... جسمي وقلبي و أوهت باللظى جلدي
يا رب رحماك بي فالسقم برَّحَ بي ... و أنت وحدك يا ارب لوري صمدي
وليس غيرك يشفيني ويرأف بي ... فعافني من لظي الحمى وخذ بيدي

٩ـ مكانة الشاعر وأهمية الشعر:

في ديوان عطار إشارات واضحة إلي مكانة الشاعر، ودوره في حياة الناس، ومنزلته العالية في المجتمع، وأهمية الشعر، ودوره في تخليد الناس، ورفع قدرهم، حين يردد ذكرهم في الآفاق، عبر الأجيال.

وقد صدق عطار في ذلك، فهذه طبيعة الشعر والشاعر منذ القدم، فكم خلدا لنا من آثار، وكم رفعا من أقدار الناس، وكم أطار من ذكر خامل وشهرته.

وعطار شاعر، يدرك ذلك كله، ويعرف للشاعر مكانته، وللشعر دوره وأهميته، فكان لابد أن يفسح لهذا الجانب مجالا في ديوانه، ويردد فيه الحديث عن مكانة الشاعر، وأهمية الشعر، ودور شعره أحيانا في رفع أقدار الناس، وتخليد ذكراهم.

ومن الإشارات التي وردت في ديوانه حول هذا الجانب، ما نجده في قصيدة له بعنوان (ميلاد شاعر)[٣].

---

(١) الصفد: الوثاق.

(٢) مصطرد: الحنق الشديد.

(٣) الديوان: ص ٦٩-٨٣.

وهي قصيدة طويلة يتحدث فيها عن ميلاد شاعر، ويصور فرحة الناس والدنيا بهذا الميلاد، وكل شيء في الكون يبدو مغتبطا به، وقد لبست الدنيا حلل البهجة والسرور والجمال فرحا بميلاد هذا الشاعر.

يقول الشاعر:

في دُجى الليل سرى لحن جديد ... من أقاصي الشرق نحو المغرب
فإذا الدنيا غناء ونشيد ... وضياء شق ستر الغيهب
سأل الناس وفى التسآل حيره ... أي شيء جدّ في الكون القديم
أترى الجنة أضحت قيد شعره ... ففشا النور على هذا الأديم
كلهم يسأل مأخوذا بما ... ملأ الدنيا من النور الجميل
لم يروا قط ضياء باسما ... بسمة الوالدان عند السلسبيل
أبصروه في فم الطفل وفى ... بسمة الغيد وفى الورد الشذي
فى الدجى في البحر في الأنداء في ... فلق الصبح وفي اللحن الندي
في الربى في الروض في القفر الجديب ... في ظلال الغاب في مسرى الهواء
في الذرى في السفح في الشكل القشيب ... كل ما تبصر ثر بالضياء
كل ما تبصر أمسى فتنة ... تتجلى وجمالا لا يغيض
أترى الدنيا استحالت جنة ... يتجلى السحر منها ويفيض
فعلى القفر نبات أورقا ... وأزاهير تغشاها الفتون
واستحال القفر روضا مونقا ... تتهادى فيه ألوان الفنون
هو ذا العطر امتطى ريح الصبا ... حبذا الراكب رقراق النسيم
مزجيا للكون أنفاس الربى ... من ربى الخلد وجنات النعيم
والمصابيح تجلت في السماء ... فبدت للعين أضواء عربيه
ما رأتها قط في هذا البهاء ... إن في الأمر لأسرار عجيبه

يـــا لهـــذا الحســـن تبديـــه الكواكـــب ... يفـــتن الأعـــين مـــرآه البـــديع
مـــلأت أضـــواؤه كـــل المـــذاهب ... وتفشـــت فـــوق هاتيـــك الربـــوع
ألفـــوا الـــنجم مـــن الـــدهر البعيـــد ... والهـــوى بـــين الأليفـــين قـــديم
حينمـــا كـــان أخـــو الغـــاب الشـــريد ... آبـــدا فـــي الكهـــف كالـــذئب الشـــتيم
إنهـــم لـــم يـــألفوا هـــذا الجمـــال ... تطفـــر الفرحـــة مـــن لألائـــه
فبقـــوا قيـــد ذهـــول وخيـــال ... فيهـــا اســـتطلق عقـــل التائـــه
شـــعر النـــاس ببشـــر يتـــدفق ... يـــا لبشـــر فـــاض مـــن نهـــر الحيـــاه
فعلـــى الثغـــر ابتســـام يتـــألق ... ومـــن القلـــب نشـــيد وصـــلاه
شـــارك الأحيـــاء فـــي العيـــد الفريـــد ... فـــي متـــاع القلـــب والفكـــر الرفيـــع

ثم يبين الشاعر سر تلك الفرحة، وهذا الاغتباط، الذين عمّ كل ظاهر الكون، وهو ميلاد شاعر يملأ الدنيا بقصيده، ثم يستطرد بعد ذلك إلى حديث عن صفات الشاعر وسماته، فشيمته نبل وإخاء، ويؤثر الناس على نفسه، ويحمل للناس جميعا شعور الأخوة والمحبة، فهو نبع الحنان والرحمة والحب، وهو الذي يمسح بؤس البشر و آلامهم بشعره الرقيق العذب، والدنيا من غير الشاعر سجن وقيد.

يقول الشاعر:

بينمـــا النـــاس وقـــوف فـــي ســـكون ... رن فـــي الكـــون نـــداء جهـــوري
يحمـــل البشـــري وأفـــراح الســـنين ... فـــانطوى الســـتر وقـــد بـــان الخفـــي
قـــال: يـــا قـــوم اجتمعـــتم هـــا هنـــا ... لتحيـــــوا عبقريـــــا شـــــاعرا
مـــلأ الـــدنيا قصـــيدا وســـنا ... مطلقـــا خطوتـــه نحـــو الـــذرى
ســـعده يقســـمه بـــين الأمـــم ... لا يقتضـــيها ثنـــاء أو وفـــاء
حســـبه مـــن ذاك إرضـــاء الشـــيم ... شـــيمة الشـــاعر نبـــل وإخـــاء

يـــؤثر النـــاس علـــى مـــا يرتجيـــه ... مـــن نعـــيم لـــم يـــتح إلا لنفســـه
ويـــرى النـــاس كأبنـــاء أبيـــه ... حـــبهم يمكـــن فـــي أطـــواء خســـه
إنمـــا الشـــاعر تمثـــال الحنـــان ... تنبـــع الرحمـــة مـــن إحساســـه
يحمـــل الحـــب علـــى مـــر الزمـــان ... وهـــدى الحـــب علـــى نبراســـه
يمســـح البـــؤس آلام البشـــر ... بيـــد قـــد ســـالت الرحمـــة منهـــا
وهـــو لـــو يســـتطيع دفعـــا للقـــدر ... مـــا درى الكـــون لهـــذا البـــؤس كنهـــا
إنمـــا الشـــاعر دنيـــا لا تحـــد ... وحيـــاة تأخـــذ الأفـــراح منـــه
فهمـــا مـــن غيـــر ســـجن وقيـــد ... شـــقي الكـــون إذا مـــا مـــال عنـــه

ويستمر عطار في بيان فضل الشاعر، وأثره في حياة الناس، وفي إضفاء البهجة عليهم، وإسباغ الجمال على مظاهر الكون كما يصور تأثير شعره في النفوس.

يقول الشاعر:

أتـــرى الكـــون بغيـــر الشـــاعر ... تصـــلح الغنيمـــة فـــي عمرانـــه
مـــن تـــرى يبـــدع صـــوغ الخـــاطر ... لـــو فقـــدناه مـــدى أزمانـــه
مـــن يـــذيع الســـحر مـــن ألحانـــه ... ويرينـــا الزهـــر فـــي أفنانـــه
ويشـــيد الحـــب مـــن تحنانـــه ... ويصـــوغ الفـــن مـــن وجدانـــه
غيـــر هـــذا الشـــاعر المومـــوق يزجـــى ... متعـــا تصـــدر مـــن ألحانـــه
كـــل مـــا قـــد تتمنـــى أو ترجـــى ... مـــن نعـــيم فهـــو فـــي بســـتانه
أيهـــا الشـــاعر، يـــا أنـــس الوجـــود ... يـــا بشـــير الخيـــر يـــا ذخـــر الأمـــم
يـــا مـــذيع الفـــن يـــا رمـــز الخلـــود ... شـــعرك الســـامي لحـــون ونغـــم
فيـــك مـــن نـــور الربيـــع الباهر فتنـــة ... الطلعـــة تشـــدو بالحيـــاه
حيـــث تختـــال بثـــوب زاهـــر ... يبعـــث الفرحـــة فـــى القلـــب المـــوات
إنمـــا الســـحر كمـــين فـــى الربيـــع ... وهـــو وحي القلـــب إذ تصـــفو الخـــواطر

أو هـــو الينبـــو ع للقلـــب الوديـــع أو هـــو المنعـــة تغـــذوها المشـــاعر

وفي قصيدة أخرى يتحدث الشاعر عن جفاء صاحبه له، ويعاتبه على هذا الجفاء، وفي ثنايا العتاب يذكره بشعره، وما أضفاه عليه من حسن وجمال، وما قدمه له من معروف بذلك الشعر. وهنا بيان لأهمية الشاعر والشعر في تخليد الناس، وذيوع شهرتهم، وتجميل القبيح، وبقاء ذكراهم بين الناس، حتى بعد رحيلهم عن الدنيا.

يقول الشاعر[١]:

أيـــا صـــاح لا تعجـــل علـــي بجفـــوة وفكـــر ففـــي التفكيـــر هـــدي بصـــائر
وكـــن فطنـــا لا تغتـــرر بتواضـــعي ولا تحســـبن أن القطيعـــة ضـــائري
ولا تغتـرر بالحســن فالحســن حليـة وهبتكهـا مـن خـاطري ومشـاعري
أفضـت عليـك الوصـف وصـفا أحبـه فأصـبحت تمثـال الجمـال لنـاظري
ولـــولا افتتـــاني بالمعـــاني جميلـــة لمـــا كانـــت ينبوعـــا الأوهـــام خـــاطري
ومـا كنـت تبـدو فـي النـواظر رائعـا إذا أنـا لـم أمنحـك حسـن المظـاهر
فكـم وردة في الـروض لـم تلـق ناشـقا فصـوحها بالغصـن رعـن الأعاصـر
ورب جميـــل قـــد تناســـاه شـــاعر فـــراح ولـــم يحفـــل بـــه أي نـــاظر
آخـر أضـحى وهـو فـي القبـر خالـدا تجـــدد ذكـــراه أناشـــيد شـــاعر
ولـولاه أمسـى طعمـة الجهـل والبلـى ولـــم تـــك ذكـــراه مثـــار الخـــواطر

والشعر –كما يقول عطار- يجوب الوجود في سرعة الضوء، ويجلي الأحزان، ويزرع مكانها الأفراح.

يقول عطار مخاطبا صديقه الملك[٢]:

---

(١) الديوان: ص ٨٤-٨٥.

(٢) السابق: ص ٨٤-٨٥.

وابـــن لـــي روضـــة أشـــم شـــذاها وأذيـــع الغنـــاء مـــن فـــوق غصـــن
فيجـوب الوجـود في سـرعة الضـو ء غنـــائي وينجلـــي كـــل حـــزن

والشاعر دائما يجب أن يعيش حرا طليقا حتى يستطيع أن يشدو بأعذب الألحان.

يقول عطار مخاطبا صديقه الملك[١]:

يـا صـديقي المليـك يـا صـاحب الرفـ ـعـــة والجـــاه والإبـــاء أقلنـــي
أنـا فـي الكـون شـاعر عشـق الفـ ـــن فـــأطلق بعطفـــك لحنـــي
أنـا يـا بـن الكـرام ذو المعـدن الفـا ضـــل حـــر النهـى ولســـت بقـــنّ
أنـا لا أسـتطيع يـا صـاح أن أحـ ـيـا مقـود الخطـى ففـي ذاك حيْنـي
عشـت فـي عـالمي أحلـق فـي الأجـ ـواء أطـوي الرحـاب مـن دون وهنـي
عشـت حـرا أفـري عبوديـة الكبـ ـر عزوفـا عـن حيـاة المـدن

والشعر يمنح المجد لمن يذكره، ويحييه، ويزيده رفعة إلى رفعة، يقول الشاعر[٢]:

فـانبرى الشـاعر العظـيم إلـى القـو ل هتوفـا بجـودة المـرجحنّ
أيهـا العاهـل الصـديق أحييـ ـك بشـعري وعـش لنـا خيـر ركـن
فلـئن تجـزل العطـاء ولـم تمـ ـذق عطايـاك يـا كـريم بمـنّ
فأنـا ذاكـر الجميـل ولـن أنـ ـسى ومعطـي الثنـاء مـن كـان قرنـي
فـا هنـأ الـدهر ماحييـت فشـعري يمـنح المجـد مـن جديـد وبينـي

وفم الشاعر عند عطار خير فم، يقول الشاعر[٣]:

فتشـمل الـنفس دنيـا الفـتن وينطلـق الشـعر مـن خيـر فـم

(١) السابق: ص ٩٣-٩٤.
(٢) الديوان: ص ٩٣-٩٤.
(٣) السابق: ص ١٦٥.

ما سبق كان حديثا عن الجوانب الموضوعية في ديوان عطار، ثم استنباطها من خلال قصائد عطار ومقطعاته وأبياته في الديوان، وهي موضوعات – كما رأينا – تتردد بين المنحى التقليدي والمنحى التجديدي.

آخرا: نظرات في الجانب الفني لشعر الديوان

بمعاودة التأمل والنظر في ديوان عطار، للوقوف على ما في شعره من خصائص وسمات فنية، وما ينطوي عليه من قيم الفن الشعري، نستطيع أن نحدد أهم السمات التي يتسم بها شعر ذلك الديوان فيما يلي:

١ـ الوضوح والقرب من الأفهام:

أول ما نلاحظه في شعر الديوان عند مطالعته أنه شعر سهل الفهم، قريب من الأذهان لا يستعصي على مدارك القراء، ولا ينغلق على أفهامهم.

فمن يطالع قصيدة أو مقطعة أو أبياتا من شعر الديوان، سيقف سريعا على المضامين والأفكار التي تتضمنها، وسيدرك بسهولة ما ينطوي عليه من معان، فهو شعر قريب التناول، يخلو من أسباب الغموض والإبهام والتعقيد، ويتسم بالوضوح، والقرب من الأفهام

ولا شك في أن ذلك يرجع إلى أسباب، هي: أن ألفاظ عطار من الألفاظ المألوفة الدارجة في الاستعمال، ومعانيه – في الغالب – من المعاني الشائعة المتداولة بين عامة الناس وخاصتهم، وخياله – في الغالب – ليس من الخيال البعيد، بل هو قريب، يقوم غالبا على الربط بين عناصر الواقع، وتراكيبه تتماشى مع قواعد النحو العربي، فلا حذف، ولا تقديم ولا تأخير إلا في القليل النادر، وصوره الفنية قريبة في تكوينها، منتزعة من الواقع، إضافة إلى ندرة الألفاظ الغريبة في شعره.

لهذه الأسباب كلها جاء شعر عطار في ديوانه سهلا واضحا، قريبا من أذهان القراء، لا يكد القارئ له ذهنه حتى يصل إلى معانيه، ولا يتأمل طويلا حتى يقف على أفكاره.

ويكفي أن نطالع قصيدته (اشهدي مغرب عمري قبل فجره[1])، تلك التي يشكو فيها من هجر حبيبه، وتبدل حاله بعده، ويصور فيها شقاءه وعذابه وألمه في بعد حبيبه، وما يعانيه من حرمان، وما أصابه من جراح وألم.

نطالع تلك القصيدة فلا نجد أدنى صعوبة في فهم معانيها، والوصول إلى مراميها حتى لكأننا نطالع نثرا عاديا، وليس شعرا فنيا يتسم باللغة الشعرية وخصائصها المعروفة في فن الشعر، بما فيها من تكثيف وتركيز وخيال محلق، وبما تقوم عليه من لغة تتسم بالغموض أحيانا.

وتلك عادة عطار في كل شعر الديوان تقريبا، فلم يكن من هواة الغموض، ولا من شداة التعقيد، أو البعد، أو الإغراب.

وتلك هي القصيدة التي تؤكد تلك النظرة، وتدل دلالة واضحة على وضوح شعر الديوان، وقربه من الأفهام.

يقول عطار:

ليس في العالم محروم من النعمى سوايا
وطريق البؤس لا تعرفه إلا خطايا
والسنا أظلم حتى لا تراه مقلتايا
وافتقدت النور مذ غابت وضيَّعت حجايا
آه لو تعلم ما بي من شقاء وعذاب
آه لو تبصر أحلام شبابي في التراب
لو رأتني لبكت قلبي من هول مصابي

(1) الديوان: ص ١٧-٢٠.

يـــــا إلهـــــي رحمـــــة ترجـــــع لـــــي بعـــــض صـــــوابي
كـــــل شـــــيء فـــــي أو فـــــي عـــــالمي بـــــادي الخـــــراب
وتـــــدجَّى النـــــور فـــــي عينـــــي وأمســـــى كالضـــــباب
يـــــا حبيبـــــي أيـــــن أنـــــت الآن هـــــل تـــــدرين مـــــا بـــــي
بـــــي مـــــا يفتـــــك بالقلـــــب ويـــــؤدي بالشـــــباب
كـــــل نعمـــــى يـــــا حبيبـــــي طويـــــت بعـــــدك طيـــــا
فـــــالمنى والبشـــــر والأفـــــراح أصـــــبحن جثيـــــا
وضـــــياء الكـــــون أمســـــى ظلمـــــة فـــــي مقلتيَّـــــا
والـــــذي كـــــان جميـــــلا صـــــار ممســـــوخ المحيـــــا
كنـــــت لـــــي وحـــــدي كمـــــا كانـــــت حيـــــاتي لـــــك وحـــــدك
وظننـــــا البـــــين أغفـــــى عنـــــد أبـــــوابي وعنـــــدك
فغفونـــــا فـــــإذا الـــــدهر وقـــــد أحكـــــم قيـــــدك
يـــــا إلهـــــي رحمـــــة يـــــا أيهـــــا الـــــدهر رويـــــدك
غيـــــر أن البـــــين لا يصـــــغي لشـــــكوي وأنينـــــي
بـــــل أراه ممعنـــــا يســـــرف فـــــي وخـــــز الطعـــــين
وإذا دمـــــر قلبـــــين تمـــــادى فـــــي الجنـــــون
ســـــاخرا يضـــــحك والقلبـــــان فـــــي كـــــرب مبـــــين

هذا شاهد واحد نكتفي به على وضوح شعر الديوان، إذ يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، وفي الجزء دليل على الكل.

٢ـ التكرار:

يتضح في شعر ديوان عطار أنه يلجأ إلى التكرار أحيانا؛ للتأكيد على فكرة محددة، أو نظرة معينة له، أو لإيضاح معنى من المعاني، فنجده يلح على ذلك من خلال تكرار بعض المفردات، أو الجمل، فوق ما في ذلك التكرار أحيانا من موسيقي مؤثرة، وإيقاع جميل، ونغم شجي، يثير القارئ، ويلفت انتباهه، ويجذبه إلى مواصلة قراءة

القصيدة التي يرد فيها ذلك التكرار، وتلك براعة من عطار، واقتدار منه، ودليل على تمكنه من الوسائل الفنية، وغيرها، التي تسهل له السيطرة على قارئ شعره، وتساعده على التأثير القوي فيه، والاستمتاع اللذيذ بما يطالع من شعر عطار، فوق أنها تهيئ له سبيل الوضوح والبيان وتمكنه من تقديم أفكاره ومعانيه وأخيلته واضحة جلية للقارئ، دون لبس أو غموض، وتلك غاية التكرار الكبرى وهدفه الذي يسعى عطار إلى تحقيقه من خلاله.

كما نحس في التكرار حين نطالعه أنه يخلو تماما من الغموض والتكلف، ويبتعد عن التعقيد والإغراب، وعلى الجملة نشعر أن التكرار في مواضعه مطلوب، ونحتاج إليه في تلك المواضع، فلا بنو ولا نشاز ولا تكلف من أجل رص الجمل المكررة دون فائدة أو حاجه، وإنما هو تكرار مفيد ومنتج ومضيف، ووسيلة هامة من وسائل التأكيد والإيضاح والبيان، والتأثير في القارئ، وإمتاعه وتحقيق اللذة الفنية له.

ونماذج ذلك التكرار كثيرة في الديوان، نجتزئ منها بعض الشواهد؛ للتأكيد إلى تلك النظرة إليه، والسمات التي اتسم بها في ديوان عطار السابقة، الذي كرر فيه عطار قوله (أين مني) للتأكيد والإيضاح، وكشف ما في نفسه من حسرة وألم لفراق حبيبته.

يقول[١]:

أيـــــن منـــــي قلبـــــك المفعـــــم حبـــــا ووصـــــالا
أيـــــن منـــــي روحـــــك المتـــــرع طهـــــرا وكمـــــالا
أيـــــن منـــــي وجهـــــك المشـــــرق نـــــورا وجمـــــالا

ونطالع له شاهدا ثانيا من قصيدته (حمار فوق الرؤوس)[٢] كرر فيه الاستفهام (بكيف) في خمسة أبيات متتالية، وأعقبها بالاستفهام بـ(أين) للدلالة على تحسره

(١) الديوان: ص ١٩.

(٢) السابق: ص ٤٦.

وحزنه من انقلاب الأوضاع الاجتماعية تماما، وتقدم المأفون والرعديد وكل من لا فائدة منهم للصفوف، وتأخر العظيم والقرم والحر وكل من تعظم الفائدة منهم في الصفوف الأخيرة، إنها حال تستدعي تكرار ذلك الاستفهام الإنكاري، الذي يؤكد حسرة الشاعر وألمه وحزنه.

يقول عطار:

فكيف تنصحني بالصبر وا عجبا ... أن تطري العجز يا من كنت بركانا
كيف التصبر والمأفون منتفخ ... ريا ويغدوا العظيم الندب صديانا
كيف التصبر والرعديد في شبع ... والقرم يطوي الليالي السود غرثانا
كيف التصبر والمملوك في حلل ... يختال فيها ويمشي الحر عريانا
كيف التصبر والظِلِّيم يحمده ... من كان بالأمس للظُلَّام طعانا
أين الخراب لبيت الظلم لم أره ... إلا رفيع الذرى قد طال بنيانا
ومنزل العدل يا ويحي غدا طللا ... مستوحشا يجرع الآلام غصانا

ونطالع لعطار شاهدا ثالثا كرر فيه الفعل الماضي (كان) مجردا، وملحقا به تاء الفاعل (كنت) التي تعد نحويا اسمها، وذلك قصيدته (فجيعة في حبيب)، حيث مات حبيبه، وترك له الحزن والألم والحسرة، وتطيرت دنياه، وتبدلت حاله، فلجأ إلى التكرار في تصوير حالة قبل الفجيعة وما كان يشعر به من سعادة ونشوة قبل رحيل حبيبه، للتأكيد على تلك الحال السعيدة الزاهية، وما كان ينتابه من نشوة وفرصة في ظل وجود حبيبه.

يقول الشاعر: [1]

جنيت على مر الزمان أمانيا ... رقصن بقلبي أنهُرا ولياليا
فكنت كطير الروض يشدو مغنيا ... ويرقص فوق الدوح جذلان لاهيا
وكنت كورد أنعش الطل غرسه ... يضاحك أفنان الرياض النواميا

(1) الديوان: ص ١٣٢-١٣٣.

وكنت أُمنِّي النفس والكون ضاحك ... بعيش رغيد يسكب البشر حاليا
وكان خليلي منبع الفن والهوى ... ومسرح أمالي ودنيا غراميا
وجنة إحساسي وينبوع فتنتي ... ومصدر إلهامي عميقا مواتيا
وكنت أري فيه الرفيق المدانيا ... وكنت أري فيه الحبيب المصافيا
وكنت أري في قربه الكون باسما ... جميل المُحيَّا دائم البشر زاهيا
وكان فؤادي في الطفولة لاهيا ... يلاعب أطياف الأماني الغواليا

وهكذا نلاحظ أن التكرار في شعر الديوان جاء لغاية محددة، وهدف معين، أراد الشاعر من ورائه وكثرة استخدامه، أن يؤكد شيئا، ويوضحه، ويقرره في نفوس القراء، فوق ما يحققه ذلك التكرار – كما قلنا – من نغم شجي مؤثر، يثير القراء ويمتعهم.

٣ـ التجديد في نظام القافية:

ونظرة إلي شعر الديوان ترينا أن عطارًا سلك في بناء قوافيه طرقا متعددة، جاري بها حركات التقليد والتجديد في بناء القوافي، لكن الغالب علي شعر الديوان الطابع، التقليدي في بناء القصيدة علي روي واحد في كل أبياتها، وهو ما يعرف بالشعر العمودي.

ومن هذا اللون في الديوان قصيدة بعنوان (ليلاك مازالت علي حبها)[١]، حيث بناها علي روي واحد، وهو القاف المضمومة علي نظام الشعر العمودي.

وفيها يقول:

ليلاك ما زالت على حبها ... وزاده إخلاصها المطلقُ
فثغرها الوضاء جم السنا ... يبدد الظلمة إذ يشرقُ
أحمر قد تحسبه جمرة ... حمراء لا تؤذي ولا تحرقُ
وإنما في الدُّن خمر الهوى ... حبيسة من عتقها تعبقُ

(١) السابق: ص ٥٧-٥٩.

بالشـــهد مـــذكورًا إذا ذاقهـــا أو نـــال منهـــا العاشـــق الموثـــقُ
ليســت علــى الصَّــب حرامــاً ومــا حرمهـــا الله فـــلا تفرقـــوا
فاكهـــة حلـــت لـــه وحـــده مـــا لســـواه العهـــد والموثـــقُ
ورق فـــي ميســـمها قبلـــة يفـــوح منهـــا الأرجـــح الشـــيقُ
تزاحمـــت فيـــه فنـــون الصـــبا والقلـــب مـــن إغرائهـــا يخفـــقُ
زادك منـــه قبـــل جمـــة يـــا نعـــم هـــذا الـــزاد لـــو يطلـــقُ
ألـــم تـــذقها حلـــوة مـــن فـــم لا حســـنه يفنـــي ولا يخلـــقُ
ألـــم تعربـــد مـــن كـــؤوس الهـــوى يســـيل منهـــا الفـــرح المغـــدقُ
ألـــم تطـــوَّق خصـــرها مـــرة فيثنـــي أملودهـــا المـــورقُ

وبرغم غلبة الاتجاه التقليد في بناء القوافي، وهو الشعر العمودي علي الديوان، إلا أن الشاعر – كشعراء عصره – خرج علي ذلك التقليد في عدد من قصائد الديوان.

وقد تمثل ذلك الخروج في ثلاثة أنماط:

-النمط الأول: ما يعرف بالشعر المرسل، وهو الشعر الذي يبني فيه الشاعر كل بيتين في القصيدة علي روي مختلف عم الأبيات الأخرى، فهو نمط يتعدد فيه الروي في القصيدة، وينتقل الشاعر فيه من حرف إلي حرف في كل بيتين في الروي.

ومن شواهد ذلك اللون في ديوان عطر قصيدة بعنوان (ألأن لوني كالدجي)، التي يتحدث فيها عن العنصرية، والتفريق بين الناس بسبب ألوانهم. يقول الشاعر[1]:

ألأَنَّ لـــــــــونـي كالـــــــــدجي و لأن قلبـــــــــي طيـــــــــبُ
ولآن لونـــــك يـــــا أخـــــي الـــــ ـغربـــــي أبـــــيض يخلـــــبُ
تُـــــــزري بإنســـــــــانيتي وتزيـــــدني بصـــــقًا وركـــــلا
وتهـــــدّ كـــــوخي يـــــا أخـــــي وتـــــؤودني ســـــجنًا وقـــــتلا
أنســـــيت أنـــــا إخـــــوة ربَّـــــي وربـــــك واحـــــدُ

(١) الديوان: ص ٢٥-٢٧.

والوالـــــــــد المرحـــــــــوم آ ... دم وهـــــو نعـــــم الوالـــــدُ
أتـــــرى النهـــــار يخاصـــــم ... الليـــــل البهـــــيم للونـــــهِ
لا بـــــل أفـــــاض عليـــــه مـــــن ... وشـــــي الضـــــياء وحســـــنهِ
أخـــــوان مـــــا اختصـــــما وبيـــــ ... ـنهمـــــا المـــــودة والصـــــفاءْ
إن يقتـــــرض فـــــي القـــــيظ منـــــه ... فـــــإن فـــــي البـــــردِ الوفـــــاءْ
قـــــد جئتنـــــي عريـــــان لا ... ثـــــوب لـــــديك ولا نشـــــبْ
ففتحـــــت بيتـــــي كلـــــه ... لـــــك كـــــي تعـــــيش وتكتســـــبْ
فطردتنـــــي فســـــكت واســـــ ... ـــــتعبدتني فخـــــدمتُكْ
وســـــلبتني مـــــا فـــــي يـــــدي ... ونســـــيتني فـــــذكرتُكْ

-النمط الثاني: ما يعرف بقصائد المقاطع، وفيه يقسم الشاعر القصيدة عدة مقاطع، كل مقطع يتألف من عدد من الأبيات يبنيها الشاعر علي روي مختلف عن الروي في المقاطع الأخرى، فيتعدد الروي في القصيدة طبقا لتعدد المقاطع فيها.

ومن شواهد ذلك اللون في ديوان عطار قصيدته التي بعنوان (اشهدي مغرب عمري قبل فجره).

لـــــيس فـــــي العـــــالم محـــــروم مـــــن النعمـــــى ســـــوايا
وطريـــــــق البـــــــؤس لا تعرفـــــــه إلا خطايـــــــا
والســـــنا أظلـــــم حتـــــى لا تـــــراه مقلتايـــــا
وافتقـــــدت النـــــور مـــــذ غابـــــت وضـــــيَّعت حجايـــــا
آه لـــــو تعلـــــم مـــــا بـــــي مـــــن شـــــقاء وعـــــذاب
آه لـــــو تبصـــــر أحـــــلام شـــــبابي فـــــي التـــــراب
لـــــو رأتنـــــي لبكـــــت قلبـــــي مـــــن هـــــول مصـــــابي
يـــــا إلهـــــي رحمـــــة ترجـــــع لـــــي بعـــــض صـــــوابي
كـــــل شـــــيء فـــــي أو فـــــي عـــــالمي بـــــادي الخـــــراب
وتـــــدجَّى النـــــور فـــــي عينـــــي وأمســـــى كالضـــــباب
يـــــا حبيبـــــي أيـــــن أنـــــت الآن هـــــل تـــــدرين مـــــا بـــــي

بـــــــي مـــــا يفتـــــــك بالقلــــــــب ويــــــــؤدي بالشـــــــباب
كـــــل نعمـــــى يــــــا حبيبـــــي طويـــــت بعــــــدك طيـــــا
فـــــالمنى والبشــــــــر والأفــــــــراح أصـــــــبحن جثيـــــا
وضـــــــياء الكـــــــون أمســــــى ظلمـــــــة فـــــي مقلتيَّـــــا
والـــــــذي كـــــان جمـــــيلا صـــــار ممســـــوخ المحيـــــا
كنـــــت لـــــي وحـــــدي كمـــــا كانـــــت حيـــــاتي لـــــك وحـــــدك
وظننـــــا البـــــين أغفـــــى عنـــــد أبـــــوابي وعنـــــدك
فغفونـــــا فـــــإذا الـــــدهر وقـــــد أحكـــــم قيـــــدك
يـــــا إلهـــــي رحمـــــة يـــــا أيهـــــا الـــــدهر رويـــــدك
غيـــــر أن البـــــين لا يصـــــغي لشـــــكوي وأنينـــــي
بـــــل أراه ممعنـــــا يســـــرف فـــــي وخـــــز الطعـــــين
وإذا دمـــــر قلبـــــين تمـــــادى فـــــي الجنـــــون
ســـــاخرا يضـــــحك والقلبـــــان فـــــي كـــــرب مبـــــين
يـــــا حبيبـــــي لســـــت أنســـــى مـــــع هـــــذا البعـــــد ودَّكْ
لســـــت أنســـــى يـــــا حبيبـــــي عـــــدَّك الصـــــافي ووردكْ
لســـــت أنســـــاك وإن كنـــــت نســـــيت النـــــاس بعـــــدَكْ
ونســـــيت الأهـــــل والصـــــحْب ومـــــا أنســـــيت عهـــــدَكْ

- النمط الثالث: بناء القصيدة أحيانا علي نظام الأشطر، وليس نظام الأبيات، لكن مع الالتزام بروي واحد في نهاية كل الأشطر.

ومن هذا اللون في نظام عطار قصيدته التي بعنوان (حرم الهوى)، فهي من الشعر المشطور، والتزم فيها رويا واحدا في نهاية كل الأشطر، وهو الراء المكسورة.

وفيها يقول[١]:

أهـــــــــــــــذا الـــــــــــــــروض لا أدري

---

(١) الديوان: ص ٦٤-٦٦.

غريـــــــــــق فـــــــــــي الهـــــــــــوى العـــــــــــذري
وزاهٍ فـــــــــــي الحلـــــــــــى الحمـــــــــــرِ
وفـــــــــــي أوراقـــــــــــه الخضـــــــــــرِ
وبعـــــــــــض الليـــــــــــل فـــــــــــي الزهـــــــــــرِ
يلـــــــــــوذ بـــــــــــه مـــــــــــن الفجـــــــــــرِ
وهـــــــــــذي شـــــــــــعلة تغـــــــــــري
عبيـــــــــــد النـــــــــــار بـــــــــــالجمرِ
وذي صـــــــــــفراء كـــــــــــالتبرِ
كمفجـــــــــــوع علـــــــــــى ذخـــــــــــرِ
وورد جـــــــــــدّ محمـــــــــــرّ
كثغـــــــــــر حبيبتـــــــــــي المغـــــــــــري
زهـــــــــــا فـــــــــــي لونـــــــــــه الســـــــــــحري
وفـــــــــــي أعطافـــــــــــه النضـــــــــــرِ
وهـــــــــــذا المـــــــــــوج إذ يســـــــــــري
يقبـــــــــــل ضـــــــــــفة النهـــــــــــرِ
ورمـــــــــــل الســـــــــــيف مـــــــــــن هجـــــــــــرِ
ينـــــــــــاجي الطَّـــــــــــل فـــــــــــي ســـــــــــكرِ
فيزهـــــــــــو الـــــــــــروض مـــــــــــن بشـــــــــــرِ

٤ـ الشعر بين القصيدة والمقطعة

الشعر في الديوان يتردد بين القصيدة الطويلة، والمقطعة القصيرة، وقد تطول القصيدة فتبلغ عشرات الأبيات، وأحيانا بيتين.

وواضح من التأمل في الديوان أن القصائد الطوال فيه تتعدد موضوعاتها، فتشمل كل الموضوعات، فليس طول القصيدة في الديوان خاصا بموضوعات معينة، كما أن المقطعة أيضا تتناول موضوعات عديدة، وليست خاصة بموضوعات معينة.

وتلك براعة من عطار، وتمكن من نظم الشعر في مختلف الموضوعات سواء كان قصائد طويلة أو مقطعات قصيرة.

غير أننا نلاحظ أن القصيدة في ديوان عطار تطول لتبلغ عشرات الأبيات في الموضوعات القومية: السياسية، والاجتماعية، والتاريخية؛ لأن مثل تلك الموضوعات تزيد من انفعال الشاعر، وتبلغ عاطفته فيها مداها، فيعطي طول القصيدة للشاعر الفرصة لتفريغ شحنة الانفعال، وتأجج العاطفة وانسيابها حتى تنتهي القصيدة.

ومن القصائد الطويلة في ديوان عطار قصيدته التي بعنوان: (جبل طارق)، تلك القصيدة التي وظف فيها الشاعر الحدث التاريخي في فتح الأندلس، وربط بينه وبين ما يحدث في عصره؛ ليستثير الهمم، ويبعث العزائم.

وفيها يقول الشاعر[١]:

يـــا رابضـــا قهـــر الزمـــان بعـــزة ... يعنـــو لهـــا الـــزمن التـــي لا يهـــرمُ
بـدأ الزمـان يشـيب مـن هـول الـوغى ... والكـــون يحصـــده الفنـــاء المـــرزمُ
وظللـت يـا رمـز الثبـات علـى المـدى ... حيًّـــا يحـــول شـــبابه المتضـــرمُ
قَـــرَّت بصـــخرك مـــن إرادة طـــارق ... روح شـــمخت بهـــا وعـــزم مفعـــمُ
مـــن يـــوم أن وطـــئ الجزيـــرة فاتحـــا ... لـــم تســـتذل وهـــل يبـــذل الضـــيغمُ
الـــذل يخشـــى بـــأس قـــوم آمنـــوا ... بعقيـــــدة تُفـــــدى و رأي يـــــدعمُ
يتســـابقون إلـــى الجهـــاد وطـــارق[٢] ... يـــذكي الحماســـة في النفـــوس ويُضـــرمُ
البحـــر خلفكـــم ســـعير مضـــرم ... والمـــوت دونكـــم طريـــق مـــهمُ
فاستبســـلوا فالنصـــر فـــي أيـــديكم ... واستأســـدوا فلأنـــتم مـــن يحكـــمُ
فرمـــوا عـــدوهم بجنـــة يعـــرب ... الفـــرد منهـــا صـــخرة لا تُحطـــمُ
وتملكوهـــــا لا طماعيـــــة بهـــــا ... لكـــــن لتنـــــتظم الـــــبلاد الأنعـــــمُ
وتبـــدلت تلـــك القفـــار حـــدائقًا ... يختـــال فيهـــا البلبـــل المتـــرنمُ...

---

(١) الديوان: ص ٣٠-٣٤.

(٢) طارق بن زياد فاتح الأندلس.

-ومن القصائد التي طالت، فبلغت عشرات الأبيات قصيدته (ميلاد شاعر)[١]، التي يتحدث فيها عن ميلاد شاعر، ويصور فرحة الناس والدنيا بهذا الميلاد، وكل شيء في الكون يبدو مغتبطا به، وقد لبست الدنيا حلل البهجة والسرور بهذا الميلاد. وكذلك قصيدته (الحرب)[٢] التي يتحدث فيها عن آثار الحرب المدمرة، ويحذر منها.

وفي الديوان قصائد أخري كثيرة وطويلة، وكلها تعكس براعة عطار، وتمكنه من نظم في مختلف الموضوعات، واقتداره علي القوافي، السهل منها والعويص.

-واللون الآخر، وهو شعر المقطعات، كثير في ديوان عطار، ويتناول أيضا مختلف الموضوعات.

ومن شواهده تلك المقطعة التي بعنوان: (المثل الأعلى)، وهي من ثلاثة أبيات في الحكمة، يبين فيها أن الشيء البعيد، الصعب المنال يكون محببا إلي النفس من الشيء السهل الميسور.

يقول الشاعر[٣]:

أري المثل الأعلى جميلا محببا ... ألي النفي أما كان فكرة شاعر
فلو كان ميسورا وفي الوسع نيله ... لمل وأمسي في عداد الصغائر
ومن دأبنا حب المنيع وكرهنا ... لما كان ميسور الإدراك قادر

ومن شواهده مقطعة ثانية من بيتين، يتحدث فيها عن تغني محبوبته بشعره، وتمنيه أن لو كان مكان ذلك الشعر، حتى يسعد بالفم المشرق المغري.

يقول الشاعر[٤]:

تغني الذي أهوي ببعض قصائدي ... فرق بغيه اللفظ واختال في الثغر

---

(١) الديوان: ص ٦٩-٨٣.
(٢) السابق: ص ١٠٥-١٢٠.
(٣) السابق: ص ٣٥.
(٤) السابق: ص ٤٠.

فيـا ليـت أنـي بعـض مـا أنـا نـاظم لكـن سـعيدا بـالهم المشـرق المغـري

ومن شواهده مقطعة ثالثة من ستة أبيات يعتاب فيها محبوبته، التي تقسو عليه، منتهيًا في عتابه إلي أن جمالها الذي يشبه الربيع، سيؤول إلي الخريف، فلكل ربيع في الوجود خريف.

يقول الشاعر[١]:

نأيـتْ ولـم تـرحمْ وأعلنـت لـي القلـى وبـــددت أحلامـــي وهـــن ألـــوفُ
وأطلقنـــي للهـــم أجـــرع كأســـه علـي مضـض والهـم فيـك عنيـفُ
وأنكـــرتْ حبـي واجتويـــت صـــداقتي وخسـت بـذاك العهـد وهـو شـريفُ
أأُنسِـــيته كـــلا فإنـــك ذاكـــر وعـــودك فيهـــا تالـــد وطريـــفُ
فـــإن تـــك مغـــرورا بحســـنك صـــائلًا فكـــن واثقـــا أن الزمـــان عصـــوفُ
جمالـــك هـــذا كـــالربيع وإنمـــا لكـــل ربيـــع فـــي الوجـــود خريـــف

وهكذا شعر عطار في ديوانه بين القصيدة، والقصيدة الطويلة، والمقطعة، والمقطعة القصيرة إلي حد البيتين، وهو ينظم كل تلك الألوان علي حد سواء، ويجيد فيها في مختلف الموضوعات.

٥ ـ القوافي بين الإطلاق والتقييد:

في مجال القوافي نظم عطار –كما أشرنا سابقا– علي معظم حروف الهجاء تقريبا، وتلك دلالة أخري علي براعة عطار، وتمكنه من النظم، واقتداره علي القوافي، وأنه شاعر مطبوع علي قول الشعر. ونلحظ في قوافي عطار أيضا من خلال النظر في رويها أنها تتردد بين الإطلاق والتقيد.

والقافية المطلقة هي التي تتحرك رويها، والمقيدة هي التي يأتي رويها ساكنا.

(١) السابق: ص ١٥٩.

وربما كان للحالة النفسية لدي الشاعر، والعاطفة المسيطرة عليه عند النظم علاقة بالإطلاق والتقييد في القافية.

غير أننا نلحظ أن القافية المطلقة كثيرة في ديوان عطار، وتتفوق علي القافية المقيدة في عدد القصائد، ربما لتناسبها مع حالته النفسية، ومع عاطفته وزفراته الانفعالية تجاه تجاربه وموضوعاته الشعرية، وربما لأن النظم على القافية المطلقة من السهولة واليسر علي الشاعر عكس القافية المقيدة.

ومن نماذج القافية المطلقة في ديوان عطار قصيدته (ربيع الحرب)، التي يقول في مطلعها[١]:

أيــن الربيــع الــذي طافــت مواكبــه ... بـالكون فرحي وأيـن الـرقص والطـربُ
يضـل فيهـا النهـي مـن فـرط فتنتهـا ... كأنهـا مــن رحــاب الخلــد تنســربُ

وقصيدته (جبل الطارق) التي يقول في مطلعها[٢]:

يــا رابضًــا قهــر الزمــان بعــزة ... يعنــو لهــا الــزمن الــذي لا يهــرمُ
بـدأ الزمـان يشـيب مـن هـول الـوعي ... والكــون يحصــده الغنــاء المُــرزمُ

وقصيدته (الله للوطن الغالي) التي يقول في مطلعها: [٣]

يـا قلـب هـذي رحـاب المجـد فـانطلق ... وســر إلــي عــالم بــالنور منبثــقِ
واتــرك عــوالم قــد ديســت كرامتهــا ... واصــعد القمــم الأخــلاق واســتبقِ
ولا تكــن كالــذليل الــنفس يقنعــه ... عـيش الرخـاء ولا تشـرب علـي الرنـقِ

وهناك قصائد آخري كثيرة في الديوان جاءت قوافيها مطلقة.

ومن نماذج القافية المقيدة في ديوان عطار قصيدته (عد لا أريد سواك)، وهي عبارة عن رسالة من زوجة إلي زوجها، ترجمها عطار شعرا، ويقول في مطلعها[١]:

---

(١) الديوان: ص ٢٨-٢٩.

(٢) السابق: ص ٣٠.

(٣) السابق: ص ٣٦.

كلمـــــح البـــــرق وأســـــرعْ مضـــــي تاريخنـــــا المتـــــرعْ
كـــــأني لـــــم أعـــــش معـــــه ســـــوي الوقـــــت الـــــذي ودَّعْ
وهـــــد فراقـــــه كـــــوني بكـــــل جهاتـــــه الأربَـــــعْ

ومن نماذجها أيضا قصيدته (السلام)، وقد نظمها في اليوم الذي استسلمت فيه ألمانيا، أثناء الحرب العامية الثانية، ويقول في مطلعها[٢]:

آه لا أبصـــــــر الصُّـــــــوى وانطـــــوي الـــــدرب وانـــــدثرْ
هـــــا هنـــــا ثـــــم هـــــا هنـــــا حُفـــــرٌ خلفهـــــا حفـــــرْ
والريـــــاض التـــــي زهـــــت قـــــد عفـــــت وامَّحـــــى الأثـــــر

وفي الديوان قصائد ومقطعات أخري، جاءت قوافيها مقيدة، لكنها ليست في كثرة القصائد والمقطعات ذات القوافي المطلقة، كما قلت قبل ذلك.

٦ـ غلبة الأوزان الطويلة:

في هذا الجانب الخاص بالأوزان يغلب الطابع التقليدي على شعر ديوان عطار، فنجده فيه يميل إلي الإكثار من النظم علي الأوزان الطويلة، مثل شعراء العرب القدماء.

غير أن ما نلاحظه هنا في ديوان عطار أنه لم يُقصر الأوزان الطويلة علي موضوعات معينة، والأوزان القصيرة والخفيفة علي موضوعات أخرى، وإنما يستخدم الأوزان الطويلة والقصيرة في مختلف الموضوعات.

وعطار بذلك يبطل رأي القائلين بأن الأوزان الطويلة تصلح لموضوعات معينة، أو يستخدمها الشعراء في موضوعات دون موضوعات، وأن الأوزان القصيرة والخفيفة والمجزوءة تصلح لموضوعات أخري معينة، أو يستخدمها الشعراء في موضوعات دون موضوعات.

---

(١) الديوان: ص ٩٩.

(٢) السابق: ص ١٠٢.

أي أن عطار باستخدامه كل الأوزان في كل الموضوعات يبطل رأي القائلين بارتباط الموضوع بالوزن الشعري، أن كل موضوع يناسبه وزن معين، وأن هناك أوزانا تصلح لموضوعات معينة، ولا تصلح لموضوعات أخري.

فمن القصائد التي جاءت في ديوان عطار علي الأوزان الطويلة:

قصيدته (ربيع الحرب)[١] ومطلعها:

أيــن الربيــع الــذي طافــت مواكبــه بـالكون فرحي و أيـن الـرقص والطـرب

وقصيدته (جبل طارق)[٢] ومطلعها:

يــا رابضًــا قهــر الزمــان بعــزة يعنــو لهــا الــزمن الــذي لا يهــرمُ

وقصيدته (حمار فوق الرؤوس) [٣] ومطلعها:

يـا صـاح مـا الصـبر إن الصـبر معجـزة والصــبر تعزيــة الــواني ومــن هانــا

وغيرها كثير من القصائد التي جاءت علي الأوزان الطويلة، وهي متناثرة في ديوانه هنا و هناك.

ومن القصائد التي جاءت علي الأوزان الخفيفة القصيرة، قصيدته (ألأنَّ لوني كالدجي)[٤] ومطلعها:

ألأنَّ لـــــــــوني كالـــــــــدجي و لأن قلبـــــــــي طيـــــــــبُ

وقصيدته (الزورق المختال)[٥] ومطلعها:

وفـــــي يـــــوم ركبنـــــا زو رقًـــــا يختـــــال فـــــي النهـــــر

(١) السابق: ص ٢٨-٢٩.

(٢) الديوان: ص ٣٠-٣٤.

(٣) السابق: ص ٤٥-٤٧.

(٤) السابق: ص ٢٥-٢٧.

(٥) السابق: ص ٦٢-٦٣.

وقصيدته (حرم الهوى) [١] ومطلعها:

أهـــــــــــــــــذا الـــــــــــــــــروض لا أدري
غريـــــــــــــــق الهـــــــــــــــوى العـــــــــــــــذري
وزاه فـــــــــــــــي الحلـــــــــــــــي الحمـــــــــــــــر

وغيرها أيضا كثير في الديوان، تتناثر هنا وهناك بين دفيته.

ونلاحظ علي القصائد التي تمثلنا بها هنا للأوزان الطويلة، والأوزان القصيرة، وغيرها بما هو مبثوث في ديوان عطار، تنوع الموضوعات في القصائد ذات الأوزان الطويلة، وكذلك تنوعها في القصائد ذات الأوزان القصيرة، مما يؤكد – كما سبق أن قلنا– أن ربط أوزان معينة بموضوعات معينة فيه نظر وتوقف.

٧ـ الوحدة الموضوعية والعضوية:

أما بالنسبة للوحدة الموضوعية، فنلاحظ علي القصائد الطويلة والقصيرة والمقطعات وحدة الموضوع فيها، والالتزام بها من أول القصيدة إلي آخرها، حتى في أطول قصائد الديوان، وتلك سمة من السمات التي غلبت علي بناء القصائد عن شعرائنا المحدثين، ومن بينه شاعرنا عطار.

وإضافة إلي ذلك لجأ عطار إلي سمة أخري جديدة في هذا المجال، وهي وضع عناوين لقصائده ومقطعاته، تشير إلي موضوعات القصائد والمقطعات، ويؤكد بها أيضا علي وحدة الموضوع فيها.

وبهاتين السمتين: وحدة الموضوع في القصائد والمقطعات، ووضع عناوين لها، يمكننا أن نسلك عطار ضمن المجددين من شعرائنا المحدثين، حتى و إن ظهرت علي شعره في الديوان بعض مظاهر التقليد.

---

(١) السابق: ص ٦٤-٦٦.

ولننظر الآن في احدي قصائده الطوال، لنري وحدة الموضوع فيها، وهي قصيدته (الحرب[١])، التي تعد من أطول قصائد الديوان، إن لم تكن هي أطول قصائده، ومع ذلك تقوم علي موضوع واحد من أولها إلي آخرها، وهو تلك الحرب العالمية الثانية، وآثارها المدمرة، والقصيدة مكونة من عدة مقاطع، كل مقطع بقافية خاصة.

في المقطع الأول يحدثنا الشاعر عن قرية غافية في سعادة وأمن واطمئنان، وفيها قصر عظيم شيده صانع ماهر مبدع أفرغ فيه خلاصة عبقريته الصانع، وأودع فيها تاريخ الورى نجلوه الممتع، وبديع الشعر.

هذا القصر أوت إليه أسرة هانئة، تعيش في رغد من العيش بعيدا عن الحرب وما تسببه من مخاطر و أضرار، بينما عاهلها يشهد الحرب اللاظية ويصطلي بنارها، ونار الحرب لا تهدأ ولا تخمد، بل تزداد اشتعالا، وقد نظم الشاعر تلك القصيدة في مدة اشتداد الحرب واتقاد نارها، هذا العاهل راح إلي الحرب إلي اللهب، إلي الهاوية، إلي الموت غير راض، فقد دفع إليها قسرا برغم أنفه، حيث أكره علي الدخول والمشاركة فيها، لأجل الدفاع عن أمة سامية ذات عز وفخار، وحفاظا علي عز بلدته الغالية، التي يفديها بروحه:

ثمت حيث القرية الغافيهْ ... قصر بناه صانع مبدعُ
فيه كنوز الأعصر الخاليهْ ... ووحيها الزاخر مستجمعُ
فيه تهاويل الدنيا الساجيهْ ... وفيه ما يزهن ويسطعُ
فيه عصارات النهي الراويهْ ... وفيه تاريخ الورى الممتع
وفيه بدع الشعر والقافيهْ ... يملي علي العالم ما ينفع
أوت إليه أسرة هانيهْ ... بُعْدًا عن الحرب وما تبلعُ
وعاهل الأسرة في اللاظيهْ ... يصلي ونار الحرب لا تهجع
راح إلي الحرب إلي الهاويه ... إلي الردي غضبا لا تملع

(١) الديوان: ص ١٠٥-١٢٠.

مـــــدافعا عـــــن أمـــــة ســـــامية ذات فخـــــــــار شـــــــــاده أروع
يطلـــــب عـــــز البلـــــدة الغاليـــــهْ بـــــالروح يفـــــديها ومـــــا يمنـــــع

ذاك قصر يزدان بالحسن والجمال، ينعم أهله بالأمن والسعادة.

وفي المقطع الثاني كوخ مشرق في الربا، على ربوة نامت عل صدر الوادي آمنة مطمئنة كأنه الكوكب المضيء، ومظاهر الطبيعة المختلفة المحيطة به تزدان في حليها وبهجتها، فالروض شردان بزهره، والأطيار تشدو، والبلبل يصدح مستقبلا الشمس بأروع النغم، والجدول يترقرق مختلا كالشادن في سيره، والروضة الفناء يسجع فيها الطير. هذه قرية بجمالها وسحر طبيعتها ومناظرها الخلابة، منظر ساحر يأخذ بالألباب، يفيض بالروعة والجمال:

وثـــمَّ كـــوخ فـــي الربـــي مشـــرق أضـــفى عليـــه الـــرب مـــن خيـــرهِ
يقـــوم وســـنان علـــي ربـــوة نامـــت مـــن الـــوادي علـــي صـــدرهِ
كأنـــه الكوكـــب فـــي لمحـــه أســـني مـــن الـــروض مـــن زهـــرهِ
ومـــن حلـــي الغـــادة فـــي نحرهـــا ومـــن جمـــال الكـــون أو فجـــرهِ
تزينـــــه هتفـــــة أطيـــــاره وصـــــدحه الغريـــــد مـــــن ســـــكرهِ
يســـتقبل الشـــمس علـــي نغمـــة يســـكبها البلبـــل مـــن وكـــرهِ
والجـــدول الرقـــراق مـــن حولـــه يختـــال كالشـــادن فـــي ســـيرهِ
والروضـــــة الغنـــــاء موموقـــــة يســـجع فيهـــا الطيـــر مـــن بشـــرهِ
تلـــك لعمـــري قريـــة شـــادها الـــ ـفـــن فصـــال الفـــن مـــن كبـــره
أعجـــب بهـــذا منظـــر ســـاحرا يســـبيك بالروعـــة مـــن ســـحره

تلك حال الأمن والدعة والسعادة، قصر مزدان بحسنه، كوخ آمن جمع له صاحبه الخير كله، قرية آمنة مطمئنه، طبيعة صافية ساحرة، يشدو طيرها فرحا مسرورا، لتوافر الأمن والاطمئنان.

وفي المقطع الثالث يعقد الشاعر موازنة بديعة بين تلك الحال السابقة وحال الحرب بما أحدثته من خراب ودمار، وما أضفته علي الكائنات من خوف وذعر ورعب، وذلك ليبين الشاعر مخاطر الحرب وآثارها المدمرة.

هذا القصر، وذلك الكوخ، وهذه القرية، وتلك الطبيعة، تنقلب كلها إلي حال مناقضة تماما لما كانت عليه قبل الحرب، وعند بداية اندلاعها.

هذا المدفع العاصف قد هدَّ القرية، وعاث فيها دمارا وتخريبا، وصب عليها نيرانه، فأحرق الأجسام، وأتي علي ما فيها، كأنما الشيطان قام بثورة عنيفة، يقذف بالويل، ويرم بالرحم، فالقصر بدا واجمًا، كالثاكل المفجوع يبكي بدم، والروض مستغرق في حزنه أثخن فيه الألم، والأطيار هاجرت كلها تاركة فردوسها للحمم:

فالمدفع العاصف قد هدَّها ... وعاث فيها باللظى والنقمْ
صب علي القرية نيرانه ... وأحرق الأجسام حتي الرممْ
كأنما الشيطان في ثورة ... يقذف بالويل ويرمي الرحمْ
فها هو القصر بدا واجما ... كالثاكل المفجوع يبكي بدمْ
أين كنوز الأرض أين الحلَى ... أين مجالي الأنس أين النعمْ
والروض ما للروض مستغرقا ... في حزنه أثخن فيه الألمْ
وهاجرت أطيارها كلها ... تاركة فردوسها للحُمَمْ
لم يبق فيها غير أيدي البلى ... تنسج للأحياء ثوب العدم
فيا إله الكون من نرتجي ... سواك في الويلات إذ تدْلَهِمْ

وفي المقطع الرابع: يصور الشاعر القرية وقد أبيدت في لحظة، وبدل بها أهلها مأتما، وحطم الأمن فيها، فلم يعد له وجود، والروض كأن الخريف حل به، فلا ورده زاهٍ، ولا طلعته رائعة، والأحلام جفت وانطفأت روعتها، ومن ذا الذي تسول له نفسه أن يحلم وسط هذا الجو المكفهر.

كل ذلك بدَّل القرية بعد الرضا والسعادة ألما لاذعًا يدمي:

أبيـــدت القريـــة فـــي لحظـــة ... ولـــم تصـــنها العزلـــة الوادعـــة
وبـــدل البشـــر بهـــا مأثمـــا ... وحطـــم الأمـــن لظـــي الفاجعـــة
وضـــوح الـــروض فـــلا ورده ... زاه ولا طلعتـــــــه رائعـــــــة
وجفـــت الأحـــلاق فـــي غرســـها ... وانطفـــأت روعتهـــا اللامعـــة
وأمســـت القريـــة بعـــد الرضـــا ... تضـــج مـــن آلامهـــا اللاذعـــة

ويظل الشاعر في تلك القصيدة الطويلة يصور حال الحرب، وما أحدثته من تخريب وتدمير في الأرض والطبيعة والمنشآت، وتبديل الأمن خوفا وفزعا، والسعادة ألما وحزنا، والخضرة بوارا وسوادًا، وصور كذلك ما أصاب الأطفال والنساء والرجال من ويلاتها، فاستطاع الشاعر بمهارة فائقة أن يوازن بين حال الحرب وآثارها، و حال الأمن والاطمئنان والسعادة موازنة بديعة، أظهرت عبقريته الشاعرة في أطول قصيدة له في ديوانه، وأقامها علي موضوع واحد برغم طولها، وهي قصيدة (الحرب) التي تعد من أروع قصائد الديوان علي الإطلاق؛ لأنها تعكس النفس البشرية السوية في شخص عطار، التي تكره الحرب وتمقتها، وتسعي إلي خير البشرية، وأمنها، وسلامتها.

ولننظر الآن في قصيده أخري لعطار من قصائده المتوسطة الطول؛ لنري وحدة الموضوع فيها أيضا، ولتكن –مثلًا- قصيدته (حمار فوق الرؤوس)[1]، التي يتحدث فيها عن تبدل الأوضاع، وانقلاب الأحوال في عصره، وأن هذا الوضع لم يعد يجري معه الصبر، وكيف يصبر الإنسان وهو يري الرعاع سادة المجتمع، والمنافقين والكذابين والظالمين يتقدمون الصفوف، واللئام فوق ظهر النجم، وفي أيديهم المال والجاه، فالصبر لا يجدي مع هذا الوضع المقلوب، وإنما علي الإنسان أن يكون بطلا، ويثور على كل حمار صار مقعده فوق الرؤوس، وكل كلب صار إنسانا.

(١) الديوان: ص ٤٥-٤٧.

يقول الشاعر في تلك القصيدة:

يـا صـاح مـا الصـبر إن الصـبر معجـزة ... والصـبر تعزيـة الـواني ومـن هانـا
فالميـت مـن صـبره تلفيـه مضـطجعًا ... ومـا شـكا ألمًـا أو صـاح جردانًـا
وكيـف يشـكو فقيـد الـروح إن عصـفت ... بـه المصـائب أو آدتـه طغيانـا
والحـي تلقـاه كالبركـان مضـطرمًا ... جـم النشـاط كثيـر الشـكو غضـبانا
لا يسـتريح إذا ديسـت كرامتـه ... حتى يـذيق الـردى مـن جـار أو خانـا
أو يسـتحيل حسـاما جُـنَّ حاملـه ... أو يسـتحيل علـى الحكـام نيرانـا
وإن حمتـه القـوى عـن كشـف كربتـه ... فالشـكو أو يـدع الأكـوان آذانـا
والشـكو دلَّ علـى أنـا غطارفـة ... نـأبى الهـوان ولـولا الشـكو مـا بانـا
فكيـف تنصـحني بالصـبر واعجبـا ... أن تطـري العجـز يـا مـن كنـت بركانـا
كيـف التصـبر والمـأفون منـتفخ ... ريًّـا ويغـدو العظـيم النـدب صـديانا
كيـف التصـبر والرعديـد فـي شـبع ... والقـرم يطـوي الليـالي السـود غرثانـا
كيـف التصـبر والمملـوك فـي حلـل ... يختـال فيهـا ويمشـي الحـر عريانـا..؟
كيـف التصـبر والظِلّـيم يحمـده ... مـن كـان بـالأمس للظُـلاَّم طعانـا؟
أيـن الخـراب لبيـت الظلـم لـم أره ... إلا رفيـع الـذرى قـد طـال بنيانـا
ومنـزل العـدل يـا ويحـي غـدا طلـلا ... مستوحشـا يجـرع الآلام عصـانا
والجـاه فـي قـولهم والمـال فـي يـدهم ... وكـل شـهم يعـاني الـذل ألوانـا
آه لـو أنَّـا بـلا قلـب نعـيش بـه ... وحبـذا لوغـدونا اليـوم عميانـا
فـلا نحـس بـآلام ومنقصـة ... ولا نـرى بـائع الأوطـان دهقانـا
مـاذا أقـول وقلبـي كـاد يحطمـه ... ذل العزيـز ومـوت الحـر بهتانـا

فالقصيدة من أولها إلى أخرها تدور حول موضوع واحد، هو انقلاب الوضع الاجتماعي في عصر الشاعر، واختلال الموازين والمعايير الاجتماعية، وأنه علي الإنسان أن يكون بطلا شجاعا، ويثور علي ذلك الوضع المقلوب، ولا يستسلم له، ولا يصبر عليه.

ولننظر الآن كذلك مقطعة من مقطعات عطار؛ لنري وحدة الموضوع فيها، ولتكن – مثلا – مقطعته (المثل الأعلى) [١]، وفيها يتحدث الشاعر عن المثل الأعلى، وهو أن الشيء الممنوع أو الصعب المنال يكون محببا إلي النفس من الشيء السهل المنال.

يقول الشاعر:

أري المثل الأعلى جميلا محببا ... إلي النفس إما كان فكرة شاعر
فلو كان ميسورا وفي الوسع نيله ... لمل و أمسي في عدادا الصغائر
ومن دأبنا حب المنيع وكرهنا ... لما كان ميسورا الإدراك قادر

وأما بالنسبة للوحدة العضوية فأري أن تحققها بالمعني الحرفي لها من الأمور الصعبة في الشعر، كما أري أنه ليس بمقدور الشاعر – أي شاعر – أن يضع كل بيت في مكانه الذي لا يتعداه وأري كذلك أن كل ناقد بإمكانه أن يعيد ترتيب أبيات كل قصيدة من قصائد شعرنا العربي؛ ليري فيها –من وجهه نظره– علي هذا الترتيب وحدة عضوية، وأري أيضا أنه إذا جاء ناقد آخر، وأعاد النظر في تلك القصيدة، التي رتبها الناقد الأول، فسيعيد ترتيبها مرة أخري كما يتراءى له، لتتحقق فيها –من وجهه نظره– الوحدة العضوية.

وذلك لأن "طبيعة الشعر الغنائي أن يكون انفعالات، يتلو بعضها بعضا، وليس انفعالا وحدا متصلا، وتتعدد الانفعالات، وتتباين: نوعا، وقوة، وضعفا. ولم تتحقق الوحدة العضوية – بالمعني الحرفي – في الشعر الغنائي لدي أي شاعر أبدا...

ولنثق أن المطلوبة في الشعر إنما هي الوحدة الفنية لا الوحدة العضوية، وبتلك الوحدة الفنية يتكامل القصيد، وتدب فيه الحياة.

وتقوم تلك الوحدة الفنية علي عدة أمور:

وجود تجربة شعرية حية نابضة.

---

(١) الديوان: ص ٣٥.

تجانس الأفكار والمشاعر والصور، والربط بينها داخل التجربة ربطا يكاد يكون اندمجا.

عرض التجربة عرضا صحيحا يوفي بمعانيها، بإحكام الصياغة، ومواءمة الموسيقي لمعاني القصيدة وموافقة الألفاظ لهذه المعاني، وتماوجها مع هذه الموسيقي.

لشخصية الشاعر أثرها في بناء الوحدة، فالشاعر ذو الفكر المركز تأتي وحدته منطقيه، والشاعر ذو الذهن المضطرب تتخلع وحدته وتتذبذب، والشاعر العاطفي الرقيق تسير وحدته في لطافة ولدونة.

تنظم الانفعال عن طريق المنطق، والمنطق أو التيار الفكري تنحصر أهميته في الشعر في أنه وسيلة لتوجيه الانفعال، وكلا الفرعين ليس منفصلا عن الآخر، فهو يتأثر به ويؤثر فيه، ويداخله في جميع النواحي" [١].

فالوحدة العضوية – بمعناها الحرفي – قد تكون صعبة التحقق في الشعر؛ لأن الشاعر سينظر إلي قصيدته من زاوية معينة، وبوجهة نظر معينة، انطلاقا من مشاعره وأحاسيسه، ورؤيته لتجربته في قصيدته، فيراها علي ترتيب معين لأبياتها، وكل ناقد سينتظر إلي القصيدة نفسها من زاوية معينة، وبوجهة نظر معينة، فيراها علي ترتيب غير الذي رآه شاعرها، وغير الذي رآه ناقد آخر، أو نقاد آخرون.

ولهذا قد تتحقق الوحدة العضوية بين أجزاء القصيدة أو مقاطعها، سواء في الشعر القديم، أو في الشعر الحديث، ولا سيما في الشعر الحديث، حيث نظم الشعراء كثيرا من قصائدهم علي نظام المقاطع، كل مقطع بقافية مختلفة عن قوافي المقاطع الأخرى، ولكن المقاطع كلها تدور حول موضوع واحد في إطار القصيدة.

---

(١) قضايا النقد الأدبي الحديث د. محمد السعدي فرهود: ص١١٨-١٢٠، دار الطباعة المحمدية – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

ومن هذه القصائد عند عطار – مثلا – قصيدة (الحرب)[١]، تلك التي عرضنا لها منذ قليل، فهي قصيدة تتوافر فيها الوحدة العضوية بين مقاطعها برغم تعددها، حيث انتقل فيها الشاعر انتقالا سلسا طبيعيا، من حال القرية الوادعة الآمنة، ومظاهر تلك الوادعة وذلك الأمن، إلي تبدل الحال بسبب الحرب، وما حلَّ بالقرية من مظاهر الخراب والدمار، وكذلك حال الأسرة الآمنة الوادعة، الهانئة بعائلها، السعيدة في حياتها، ثم تغير حالها ووضعها بعد مقتل عائلها في تلك الحرب.

إن الانتقال بين أجزاء تلك القصيدة – كما سبق أن بينا فيما مضي وهنا – كان انتقالا طبيعيا غير فجائي، فلا اضطراب، ولا فجائيات، ولا نشاز، وإنما ارتباط عضوي قوي بين مقاطع القصيدة.

ويمكننا أن نصدر الحكم نفسه علي قصائده عطار المكونة من مقاطع في الديوان، حيث يبدو التلاحم والارتباط العضوي قويا بين أجزائها ومقاطعها.

وهذه ناحية نلمسها بوضوح في هذا اللون من القصائد عند عطار، وهو جانب يحمد له في تلك القصائد.

أما الوحدة العضوية بالمعني الحرفي، التي تعني وضع كل بيت من أبيات القصيدة، أو مقاطعها و أجزائها في مكانة، لا يتقدم عنه ولا يتأخر، فتلك خاصية – كما قلت، وكما قال نقاد آخرون – ليس بمقدور أي شاعر أن يحققها، حتى وإن تحققت في بعض القصائد كما يري شعراؤها، أو كما يري بعض النقاد، فسيأتي نقاد آخرون يعيدون ترتيب أبيات تلك القصائد ومقاطعها أو أجزائها، ليروا فيها وحدة عضوية من وجهة نظرهم، وحتما سيأتي غيرهم ويعيدون الترتيب، وهكذا ربما بلا نهاية.

ولهذا كان من الصعب أن تتحقق الوحدة العضوية بالمعني الحرفي بين أبيات قصائد عطار، وأبيات مقاطعها، وهي لم تتحقق فعلا بهذا المعني، وبهذا المفهوم، في قصائده، ولا في مقاطع القصائد المكونة من مقاطع.

---

(١) الديوان: ص ١٠٥-١٢٠.

خاتمة

وبعد تلك السياحة التي قمت بها في ديوان (الهوى والشباب) لعطار، والوقوف علي قصائده ومقاطعته، وما تحويه من موضوعات، ومشكلات، وقضايا، وما تنطوي عليه من فنون واتجاهات وموضوعات شعرية، والوقوف كذلك علي ما اتسم به شعر الديوان من سمات فنية ومضمونيه وملامح تقليدية، وتجديدية، بعد ذلك كله تبين ما يلي:

١- عطار في هذا الديوان شاعر كبير، متمكن من نظم الشعر الجيد، مقتدر علي القوافي المتعددة في حروف رويها، مجيد في التعامل مع مختلف القضايا والموضوعات التي عالجها في ديوانه.

٢- يعكس الديوان بوضوح – في كثير من قصائده ومقطعاته – النفس الإنسانية السوية في شخص عطار، وحرصه علي سلامة ولقاء وطنه ومجتمعه، وكراهيته للحروب، وحبه للسلام، وعشقه للحب والوئام بين الناس.

٣- تنوع القضايا والمشكلات والموضوعات التي وردت في قصائد الديوان ومقطعاته، ففيها موضوع وصفية، وسياسية، واجتماعية، ورثائية، وغزلية، ووجدانية، وغيرها، كما تنوعت الفنون والاتجاهات الشعرية، وما يندرج في إطارها من عناصر فرعية في الديوان.

٤- اللغة الشعرية في الديوان سهلة بسيطة، قريبة من الأفهام، فلا غموض، ولا إبهام، ولا تعقيد، ولا غرابة، وإنما سلاسة وعذوبة ووضوح.

٥- المعاني والأفكار في الديوان جلية وقريبة من أذهان القراء ويمكنهم الوقوف عليها بسهولة ويسر، كما يستطيعون فهم مرامي الشاعر في شعره الذي تضمنه الديوان، دون كِدٍّ وإعمال ذهن.

٦- عدم تقيد الشاعر بأوزان معينة في موضوعات معينة، كما هي رؤية بعض النقاد.

٧- الجانب التجديدي بشكل عام يغلب علي الديوان، بما يتماشى مع الحركة الشعرية وملامحها التجديدية، التي كانت سائدة في عصر الشاعر.

٨-يتمثل الجانب التجديدي في الديوان في بعض المظاهر، ومنها:

أ- بعض الاتجاهات والموضوعات الشعرية.

ب- بناء قصائد علي مقاطع، كل مقطع بروي مختلف.

ج- الشعر المرسل والشعر المشطور.

د- الإكثار من الأوزان القصيرة والخفيفة والمجزوءة والمشطورة.

٩-يتمثل الجانب التقليدي في الديوان في بعض المظاهر، ومنها:

أ- بعض الفنون والموضوعات الشعرية.

ب-الشعر العمودي وشواهده.

ج- الإكثار من النظم علي الأوزان الطويلة.

د- الإطالة في بعض القصائد.

و أرجو – بعد ذلك – أن يكون البحث قد حقق الغاية منه، وقدم ديوان (الهوى والشباب) لعطار – بكل ما يحويه – واضحا جليا لجمهور القراء.

والله الموفق.

المصادر والمراجع

١- الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد ج ٣- د. إبراهيم الفوزان –مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة الأولي -١٤٠١ هـ -١٩٨١م.

٢- الأدب الحجازي في النهضة الحديثة، أحمد أبو بكر إبراهيم، طبعة نهضة مصر، ١٩٤٨م.

٣-الأدب العربي بين البادية والحضر- د. إبراهيم عوضين – مطبعة السعادة – القاهرة – الطبعة الأولي– ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٤- ديوان (الهوى والشباب) –أحمد عبد الغفور عطار– الطبعة الأولي – القاهرة – ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.

-الطبعة الثانية – مكة المكرمة – ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

٥- الفصحى والعامية – أحمد عبد الغفور عطار– مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – ١٣٧٧هـ -١٩٨٥م.

٦- قضايا النقد الأدبي الحديث – د. محمد السعدي فرهود – دار الطباعة المحمدية – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٧- قضايا ومشكلات لغوية – أحمد عبد الغفور عطار– مطبعة تهامة – جدة – السعودية – الطبعة الأولي -١٤٠٢هـ -١٣٨٢م.